## النبوءة الهامة في سِفر التثنية

عندما ذهب موسى عليه السلام إلى جبل حوريب حسب أمر الله تعالى، قال لقومه بني إسرائيل:

"يقيم لك الرب إلهك نبيا مِن وسطك مِن إخوتك مثلي له تسمعون" (التثنية ١٨: ١٥).

وأوحى الله تعالى إلى موسى فقال له:

"أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه. وأما النبي الذي يطغَى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبيّ" (التثنية ١٨: ١٨).

ومن هذه المقتبسات يتضح أن موسى عليه السلام تنبأ عن نبي صاحب شريعة سوف يظهر من بعده، وسوف يكون من وسط إخوة بني إسرائيل.

وتدل جملة "نبيا ... مثلك" على أن النبي الموعود لن يكون نبيا عاديا، وإنما سوف يكون مثيلا لموسى عليه السلام، أي نبيا يؤتيه الله شريعة، فكما كان موسى نبيا مشرّعا، هكذا سيكون ذلك النبي الموعود نبيا مشرّعا. وكذلك جاء وصف النبي الموعود بأنه لا يتكلم من نفسه، وإنما يكلم الناس "بكل ما أوصيه به". ويتبين من هذا أيضا أن النبي الموعود سوف يكون صاحب شريعة. إن نشر شريعة جديدة يعني بداية اتجاه جديد وتكوين أمّة جديدة. ولذلك، فإن النبي الذي يؤتيه الله شريعة جديدة لا يكون مجرّد معلم أو مجدّدا كالأنبياء العاديين، فعليه أن يقدّم التعاليم المتكاملة الجديدة، ويجسّد المبادئ الأساسية التي يأتي بها، كما يوضّح أيضا تفاصيل القواعد التي في الشريعة. وبغير هذا لا يمكن أن تقوم أمّة جديدة. ولكن النبي الذي لا يأتي بشريعة جديدة، ليس عليه سوى أن يبين ويشرح

حقيقة تعاليم الشريعة الموجودة بالفعل. وقد يحدث أن يكون بعض الوحي الذي يتلقاه خاصا به شخصيا، ولذلك ليس من الضروري له أن يبلغ قومه بكل ما أوحي إليه.

وتشير النبوءة المذكورة إلى أن النبي الموعود سوف يتكلم "باسمي"، وأن من لا يسمع لكلامه الذي يتكلم به باسم الله تعالى، فإن الله سوف "يطالبه"، أي أن من لا يستمع لكلام ذلك النبي سوف يحاسبه الله تعالى، وسوف يعرّض نفسه لعقابه. كذلك تذكر النبوءة أن من يتقوّل على الله، أو يدّعي كذبا أنه يحقق هذه النبوءة في شخصه، سوف يلقى الموت.

وإذا وضعنا في الاعتبار جميع الجوانب المذكورة في هذه النبوءة، يتعيّن علينا الإقرار بأنه على الأقل إلى زمن المسيح عليه السلام، لم يظهر في العالم نبي يمكن أن تنطبق عليه الأوصاف المذكورة في هذه النبوءة للنبي الموعود. وعلى ذلك، عندما نبدأ البحث عن النبي الذي يمكن أن يحقق في شخصه هذه النبوءة، يمكن استبعاد جميع الأنبياء الذين ظهروا بين موسى وعيسى عليهما السلام، إذ لم يترك هؤلاء الأنبياء أتباعا ولا تعاليم يمكن أن تحقق ما جاء في النبوءة. وعلى هذا لم يبق غير المسيح عليه السلام الذي ترك من بعده أتباعا كثيرين، والذي يعتبره أتباعه آخر معلم سماوي جاء في العالم من لدن الله تعالى. ولكن، حينما نطبّق جميع بنود النبوءة، الواحد بعد الآخر، على المسيح عليه السلام نجد أنه لا ينطبق عليه أيٌ منها:

**أولا**: إن النبي الموعود نبي يؤتيه الله شريعة. فهل كان المسيح نبيا تشريعيا؟ هل جاء إلى العالم بشريعة جديدة من عند الله تعالى لتحل محل شريعة أخرى؟ إن المسيح نفسه قال بكل وضوح:

"لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمّل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل" (متّى ٥: ١٧-١٨).

أما أتباع المسيح عليه السلام فقد شطّوا وشطحوا بعيدا حيث إنهم أعلنوا:

"ولكن الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها. المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا" (غلاطية ٣: ١٢-١٣).

إن المسيح عليه السلام لم يدّعِ أبدا أنه أتى بشريعة جديدة، كما أن أتباعه اعتبروا الشريعة لعنة، فكيف يمكن أن يُقال بأن المسيح وأتباعه يحققون هذه النبوءة التي جاءت في سفر التثنية؟

**ثانيا:** إن النبي الموعود لن يأتي من وسط بني إسرائيل، وإنما من وسط إخوة بني إسرائيل، أما المسيح عليه السلام فكان إسرائيليا من بني إسرائيل.

وحين يُواجَه أنصار المسيحية بهذه الحقيقة، يتحجّجون بأن المسيح لم يكن له أب من أهل الأرض، وعلى ذلك فمن الممكن أن يُقال إنه من إخوة بني إسرائيل. غير أن هذه حجة واهية لا يمكن الدفاع عنها. فالنبوءة تتحدث عن "إخوتهم"، إي إخوة لأمّة بني إسرائيل، وهذا يعني أمّة وجنس من الناس الموجودين على الأرض، والذين يكون منهم النبي الموعود. فلو كان هناك أبناء عديدون لله وجاءهم المسيح، لجاز أن يُقال إنه من "إخوتهم"، ويكون بذلك قد حقق النبوءة. ولكن المسيحيين يعتقدون أن المسيح وحده هو ابن الله. وبالإضافة إلى ذلك، فقد جاء في الكتاب المقدس بكل وضوح أن المسيح سيكون من نسل داود، (راجع مزامير داود ١٣٢: ١١؛ إرميا ٢٣: ٥). إن المسيح قد يتخلى عن أصله الإسرائيلي باعتبار أنه بغير أب من أهل الأرض؛ ولكنه في هذه الحالة لن يكون ابن داود، وبالتالي فلا يمكن أن يكون المسيح، لأن المفروض حسب النبوءات أن يكون المسيح من نسل داود.

**ثالثا:** تقول النبوءة: "وأجعل كلامي في فمه"، ولكن الأناجيل لا تتكوّن من كلمات وضعها الله تعالى في فم المسيح. إنها تحكي فقط قصة المسيح وبعض ما قاله في الكلمات التي ألقاها على الناس في اجتماعات عامة، وبعض ما قاله تلاميذه في مناسبات مختلفة.

**رابعا**: إن النبي الموعود سوف يكون "نبيا". بينما يعتقد المسيحيون أن المسيح لم يكن مجرد نبي، وإنما كان ابن الله. فكيف يمكن أن يحقق المسيح هذا الشرط المذكور في النبوءة؟

**خامسا**: جاء في النبوءة أيضا: "الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي". وإنه ليبدو من الغريب حقا، أنه لا يوجد في الأناجيل كلها مثال واحد لكلمات يمكن أن يُقال إن المسيح تلقاها من الله تعالى مصحوبة بأمر منه ﷻ أن يبلغها لقومه.

**سادسا**: جاء أيضا في النبوءة: "فيكلّمهم بكل ما أوصيه به". أي أن النبي الموعود سوف يعطي العالم شريعة كاملة وتعاليم شاملة. ولكن المسيح لم يدّع لنفسه هذه المهمة، وإنما اعتبر نفسه مبشرا برسول أعظم منه يأتي من بعده، إذ نجد في إنجيل يوحنا ما يلي:

"إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية" (يوحنا ١٦: ١٢-١٣).

يتضح من هذا المقطع أن نبوءة سفر التثنية لم تتحقق في المسيح. ولا يسعنا إلا الإقرار بأن كلا من العهد القديم والعهد الجديد قد سبق وأنبأ بمقدم نبي بعد المسيح ليرشد العالم "إلى جميع الحق"، فهو الذي سيقيم اسم الله على الأرض، ويثبت دعائم وحدانيته إلى الأبد. ونحن نقول إن الوحي القرآني ومجيء الرسول ﷺ هو الذي يحقق نبوءة سفر التثنية. والحقائق التالية تؤكد هذا الرأي:

(١) إن الرسول ﷺ من نسل إسماعيل، وبنو إسماعيل هم إخوة بني إسرائيل.

(٢) إن الرسول ﷺ هو الشخص الوحيد الذي أعلن أنه نبي مثيل لموسى.

فقد جاء في القرآن المجيد:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولا﴾ (المزّمل:١٦)

فالقرآن المجيد يؤكد بكل وضوح على المماثلة بين الرسول ﷺ وموسى عليه السلام.

(٣) النبوءة التي جاءت في سفر التثنية تصف النبي الموعود باعتباره "نبيا". والرسول ﷺ لم يقل عن نفسه سوى أنه نبي فقط. أما المسيح، فلم يعلن أنه نبي فقط، إذ نقرأ في إنجيل مرقس ما يلي:

"ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس، وفي الطريق سأل تلاميذه قائلا لهم: من يقول الناس إني أنا. فأجابوا يوحنا المعمّدان، وآخرون إيليا، وآخرون واحد من الأنبياء. فقال لهم وأنتم من تقولون إني أنا. فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح. فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه" (مرقس ٢٧:٨-٣٠).

أي أن المسيح أقرّ بأنه لم يكن يوحنا المعمّدان، ولا إيليا، ولا واحد من الأنبياء. غير أن النبوءة التي في سفر التثنية تنص على أن الشخص الموعود نبي مثل موسى. وعلى هذا، فهي تنطبق على رسول الإسلام ﷺ وليس على المسيح.

(٤) تذكر النبوءة "وأجعل كلامي في فمه". إن الأناجيل لا تحتوي على مثل هذا الكلام. ومن ناحية أخرى، إن رسول الإسلام ﷺ قدّم للعالم كله قرآنا، يحتوي من أوله إلى آخره على كلمة الله، وهو يحوي الكلام الذي وضعه الله تعالى في فم الرسول ﷺ. والقرآن المجيد يذكر أنه كلام الله. (البقرة:٧٦)✪

(٥) تذكر النبوءة عن النبي الموعود "فيكلمهم بكل ما أوصيه به". وقد

✪ الآية المشار إليها هي قول الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (المترجم)

ذكرنا الشواهد من الأناجيل على أن المسيح لم يقل لقومه كل ما تلقاه من الله تعالى، لأنهم لم يكونوا يحتملون هذا في ذلك الوقت، كما أشار إلى مجيء "روح الحق" من بعده الذي سوف "يرشدهم إلى جميع الحق". والرسول ﷺ هو الذي يحقق هذا الجزء من النبوءة. إذ نجد في القرآن المجيد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ (المائدة:٦٨). وكأن هذه الآية تقول: "يا أيها النبي، هناك نبوءة قديمة جاءت عنك، وتقول إنك حين تأتي إلى الدنيا سوف تبلغ الدنيا بكل ما تلقيته من ربك، فلذلك عليك أن تبلغ الناس كافة جميع الحق الذي نزل إليك من ربك، سواء قبلته الدنيا أم لم تقبله". كذلك فإن الآية الكريمة التي نزلت في أواخر نزول القرآن المجيد تقول:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (المائدة:٤)

وهذا يعني: "إنه من خلال الوحي القرآني، بلغ الدين إلى مقام الكمال، وإن نعمة الهداية قد تمت عليكم، وإن السلام والأمن قد ارتضاه الله تعالى ليكون لكم دينا". وعلى ذلك، فإن الرسول ﷺ هو الذي بلّغ كل شيء، وكلم الناس بكل ما أوصاه الله به، ولم يُبق شيئا لم يقله. أما في زمن المسيح عليه السلام، فلم يكن الناس على استعداد لتلقي كل ما أنزله الله تعالى عليه، ولا الإيمان به. ولكن في زمن الرسول ﷺ كان الإنسان قد عبر جميع مراحل التطور الروحي، وحان الوقت لكي يتلقى العالم "جميع الحق".

(٦) تتحدث النبوءة عن "كلامي الذي يتكلم به باسمي". وقد تحقق هذا الجزء أيضا في الرسول ﷺ. فهو الوحيد الذي تكلم "باسم الله"، وذلك لأن كل سورة من سور القرآن المجيد الذي جاء به تبدأ بهذه الكلمات: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. إن هذه الآية العظيمة والعلامة الواضحة، لم تأت في القرآن المجيد عفو الخاطر، وإنما أنزلها الله تعالى لتكون دليلا على أن المرحلة الأخيرة في تقدم الإنسان الروحاني، والتي أشار إليها موسى عليه السلام، قد وصلت إلى ذروتها

بمقدم رسول الإسلام ﷺ.

(٧) تذكر النبوءة معيارا هاما، إذ تقول:

"وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم بـه أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبيّ"

إن هذه الفقرة تكشف للعالم كيف يميّز النبي الموعود في نبوءة سفر التثنية، لكي يفرّق بينه وبين أولئك الذين يدّعون أنهم جاءوا مصداقا وتحقيقا لهذه النبوءة. وكان من الضروري أن يكون هناك معيار واضح تمام الوضوح. فقد أُسندت إلى النبي الموعود مهمّة استهلال المرحلة الروحية الأخيرة في تقدّم الإنسان. فإذا قام بعض المدّعين ليدّعوا كذبا أنهم حققوا هذه النبوءة، فسوف يتعرض العالم كله لخطر فادح. ومن أجل إزالة هذا الخطر، وضع الله تعالى معيارا هاما، وهو أن يحل العقاب بالشخص المدّعي الكذّاب، فلا ينال سوى الهزيمة والموت. وقد أعلن الرسول ﷺ بأوضح ما يكون طوال حياته بعد الدعوة، أنه نبي مثيل لموسى، وأنه أتى بشريعة من عند الله، وأنه أسس أمة تقوم على دين جديد. وعندما أعلن عن دعواه كان ضعيفا ولم يكن له من صديق أو معين. وكان عدوّه قويا يتفوق في العدة والعدد، ولم يترك بابا إلا طرَقه ولا واديا إلا قطَعه ولا طريقا إلا سلَكه، وأقبل عليه بخيله ورجلِه، ليقضي على رسالته ويقوّض دعواه ويضع نهاية لحياته. وقد وقف أمامه ملوك وقياصرة عظماء، ولكنهم هم الذين لاقوا الخزي والهوان وليس الرسول ﷺ. لقد انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى بعد أن أحرز نجاحا لم يتحقق لأحد من الأنبياء من قبل. وعند وفاته كانت شبه الجزيرة العربية بأكملها قد أعلنت إيمانها به. وبعد وفاته، نشر خلفاؤه الأوائل الإسلام في ربوع العالم المعروف في ذلك الوقت.

إن موسى عليه السلام كان نبيا صادقا، والنبوءة التي جاءت في سفر التثنية نبوءة صادقة من وحي الله تعالى. فهل كان واجبا أن ينجح الرسول ﷺ في مهمته بالشكل الذي نجح به؟ وهل كان واجبا لأعدائه، الذين كانوا يتعطشون لدمائه،

أن يفشلوا بالشكل الذي فشلوا به؟ كلا! لم يكن نجاح الرسول ﷺ ولا فشل أعدائه مجرد صدفة. ومن جهة أخرى، كأن القرآن المجيد كان يشير إلى نبوءة سفر التثنية عندما أعلن أمام الأمة العربية كلها في أوائل البعثة النبوية:

﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة:٦٨)

كذلك يتوجه القرآن المجيد إلى أعداء الرسول ﷺ بهذا الإعلان:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (الجن:٢٧-٢٨)

أي بعد أن كلّف الله تعالى رسوله بهذه المهمة العظمى، فإنه سبحانه لم يتركه بغير أن يشمله بحفظه من بين يديه ومن خلفه، ولا يمكن أن يصل إليه أعداؤه ولا أن يتمكّنوا من قتله.

إن هذه الآيات الكريمة تبين أن النجاح الذي أحرزه الرسول ﷺ لم يكن مسألة حظ. لقد أعلن منذ بداية مهمته، من خلال الوحي الذي تلقاه من الله تعالى والذي سجّله القرآن المجيد إلى هذا اليوم، أن الله تعالى سوف يشمله بحفظه من الهجمات القاتلة التي يشنّها عليه أعداؤه. وقد أعلن هو للعالم أنه لن يُقتل، ولن يلقى الموت على أيدي أعدائه، لأنه لم يكن مدّعيا كاذبا - والعياذ بالله - بل كان بالفعل النبيّ الموعود في نبوءة سفر التثنية.

وباختصار، منذ ١٩٠٠ سنة قبل مقدم الرسول ﷺ، أعلن موسى عليه السلام أن شريعته لن تكون الأخيرة في النظام الذي قدّره الله تعالى لهذه الدنيا، وأن شريعة أخرى، أكمل وأشمل وأعم من شريعته سوف تأتي للعالم أجمع فيما بعد، ومن أجل ذلك سوف يرسل الله تعالى في آخر الزمان رسولا آخر من لدنه. وسوف يرشد هذا الرسول كل الناس إلى جميع الحق، لأنه هو الذي تنتهي به مراحل الرقي الروحي للإنسان. وعلى الدنيا أن تنتظر مقدم كتاب آخر ونبي آخر بعد موسى.

وعلى ذلك، ما دام القرآن المجيد قد نزل على سيدنا محمد ﷺ بعد الكتاب المقدس، وأن الرسول ﷺ قد جاء بعد موسى وعيسى عليهما السلام، وباعتبار أنه أعلن أنه قد جاء من عند الله تعالى هدى للعالمين، فإن دعواه ينبغي أن ينظر إليها بالحق والعدل، وهي بلا مراء التحقق العملي للنبوءات القديمة. فالوحي القرآني لم ينْزل بلا مبرر أو بلا مسوّغ، بل جاء تلبية لحاجة وضرورة، وتحقيقا لوعود سبقت من الله تعالى على لسان أنبيائه، ولولا نزول القرآن الكريم ومقدم الرسول العظيم، لظلت هذه الوعود بغير تحقق، ولاتّجه العالم إلى الكفر ومال إلى الإنكار وأصيب بالشكوك ورفض الإيمان.

## فاران جزء من بلاد العرب

جاء في سفر التثنية ٣٣: ٢ ما يلي:

"جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى مع عشرة آلاف قديس وعن يمينه نار شريعة لهم".

في هذه الفقرة وعَد الله تعالى موسى بثلاثة تجليات يظهر فيها مجد الله ﷻ. وقد حدث التجلي الأول من سيناء، كما أشار إلى ذلك سفر الخروج:

"ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل، ودعا الله موسى إلى رأس الجبل فصعد موسى" (الخروج ١٩: ٢٠).

هذا التجلي لمجد الله ظهر في زمن موسى نفسه، وقد شهد العالم البركات التي تحققت في هذا التجلي. ومضى الزمن. وكان من المقدّر أن يظهر التجلي الثاني الذي جاء ذكره في النبوءة في سعير. وسعير هو ذلك الجزء من العالم الذي ظهرت فيه معجزات السيد المسيح. ولذلك فإن جملة "أشرق لهم من سعير" تشير إلى مقدم المسيح عليه السلام. ونسبة سعير إلى سيناء، كما يفعل المفسرون المسيحيون، إنما هو خطأ فادح، لأن سعير في فلسطين. وكلمة "سعير" كما وردت في المخطوطات القديمة لها عدة أشكال أخرى محرّفة، أحدها يشير إلى اسم قوم

انحدروا من ذرية النبي يعقوب المعروفين باسم بنو أشير. ويشير أحدها إلى اسم المنطقة الشمالية الغربية من فلسطين. وعلى هذا، فإن كلمة سعير تمثل المظهر الثاني من التجلي الإلهي. واعتبارها تشير إلى فلسطين بشكل عام، والشمال الغربي حيث ظهر المسيح من الجليل، هو الأصح. واعتبار سعير ترتبط بسيناء ونسبة كل من التجليين إلى موسى عليه السلام لا يمكن أن يكون صحيحا، لأن موسى لم يدخل أبدا إلى أرض فلسطين. فقد مات في بقعة كان يمكن له منها أن يتطلع فقط إلى حدودها. وبعد موسى ومن قبل أن يأتي المسيح، لم يظهر أيّ تجلّ إلهي يمكن أن يقارن، أو حتى يقارب التجلي الإلهي في سيناء. ولذلك، فإن عبارة "أشرق لهم من سعير" تشير إلى بعثة المسيح التي حدثت في أرض كنعان، والتي كشف الله بها لعباده عن وجه رحمته للمرة الثانية.

والتجلي الثالث لوجه العظمة الإلهية كان مقدرا له أن يظهر من فاران. وفاران اسم للتلال الممتدة بين مكة والمدينة. وكان الجغرافيون العرب دائما يسمّون هذه المنطقة "فاران". وهناك محطّ في الطريق بين مكة والمدينة يسمى "وادي فاطمة"، وحين تمر به القوافل كان الأطفال من الجوار يقابلون تلك القوافل ويبيعونها الورود، وإذا سئلوا من أين هذه الورود، كانوا يقولون "إنها من برية فاران" (كتاب فصل الخطاب). وعلى هذا فإن فاران جزء من شبه الجزيرة العربية، بل من الحجاز على وجه التحديد. وحسب العهد القديم، إن إسماعيل عاش في هذه المنطقة من برية فاران، إذ يقول سفر التكوين:

"وكان الله مع الغلام إسماعيل فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران وأخذت له أمة زوجة من أرض مصر" (التكوين ٢١: ٢٠-٢١).

## قريش من سلالة إسماعيل

إن الوصف الذي يقدمه الكتاب المقدس لفاران يختلف نوعا ما عما يقدمه

الجغرافيون العرب. فحسب الكتاب المقدس، تعتبر فاران بقعة متاخمة لأرض كنعان. ولكن البقعة التي تتكون من التلال وتنمو فيها الأحراش لا بد أن تكون منطقة واسعة تمتد عبر مئات أو ألوف الأميال المربعة، ولا يمكن أن تكون مجرد شريط من الأرض يقع داخل منطقة أخرى أو على حدودها. ولا بد أن عبارة الكتاب المقدس تعني أن الأحراش والتلال التي تتكون منها فاران، تقع في منطقة بالقرب من أرض كنعان. ولا يمكن أن تعني أن فاران هي التخوم الجنوبية من أرض كنعان. وعلى أية حال، فالكتاب المقدس يعترف بأن إبراهيم عليه السلام كان له ابن اسمه إسماعيل، وأن ذلك الابن عاش في منطقة فاران. وشهادة أبناء إسماعيل الذين سكنوا في هذه المنطقة لا بد أن يكون لها وزنها وأهميتها. ورأي بني إسرائيل في هذا الموضوع لا وزن له، فإن معرفتهم بالتاريخ والجغرافيا لم تكن جيدة، إذ لم يستطيعوا أن يصفوا الطريق الذي اتخذوه عند خروجهم من مصر إلى أرض كنعان، فكيف يحكمون على جغرافية منطقة لم يذهبوا إليها و لم يعرفوها؟ إن قوما واحدا هم الذين يعيشون اليوم ويتتبعون سلالاتهم إلى إسماعيل، وهم أهل قريش. وهم يعيشون في الجزيرة العربية، ومكة مركزهم. و لم يكن هناك من سبب يدعوهم إلى افتعال هذه الدعوى، فإنها لا تضفي عليهم شرفا عند بني إسرائيل، حيث كان بنو إسرائيل ينظرون إليهم بازدراء في جميع الأحوال. ولا يوجد من سبب يستدعي من قوم يعيشون في الصحراء أن ينسبوا أنفسهم إلى إسماعيل ما لم يكونوا بالفعل من نسل إسماعيل.

كذلك إن لم تكن دعوى العرب صحيحة، فأين اختفت سلالة إسماعيل؟ فلقد كان لإسماعيل اثنا عشر ولدا وفقًا للكتاب المقدس، وكان من المقدر لهؤلاء الاثني عشر أن يتكاثروا ويكونون أمة عظيمة حسب قول الكتاب المقدس. ففي سفر التكوين نجد ما يلي:

"وابن الجارية أيضا سأجعله أمّة لأنه نسلك" (التكوين ٢١: ١٣).

وأيضا في التكوين ٢١: ١٨ نجد ما يلي:

"قومي احملي الغلام وشدّي يدك به لأني سأجعله أمّة عظيمة".

ومرة أخرى نجد في التكوين ١٧: ٢٠ ما يلي:

"وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثّره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمّة كبيرة".

ومعنى هذا أنه كان من المقدّر لسلالة إسماعيل أن يتكاثروا ويتضاعفوا إلى أن يصبحوا أمّة عظيمة. فإذا كانت دعوى العرب بكونهم من سلالة إسماعيل غير صحيحة، فلا بد أن تكون نبوءات الكتاب المقدس أيضا غير صحيحة. لأنه لا توجد أمة أخرى في العالم تقول إنها من نسل إسماعيل. فلا يمكن أن تعتبر نبوءات الكتاب المقدس صحيحة إلا إذا قبلنا دعوى العرب بأنهم سلالة إسماعيل.

إن أقوى الشواهد التاريخية تُستمد من الروايات الثابتة المتوارثة بين الناس. ولعدة مئات من السنين كان أولئك الناس يعتبرون أنفسهم من ذرية إسماعيل، ولم يوجد في العالم قوم آخر يعتبرون أنفسهم من سلالة إسماعيل. وهذا في ذاته خير دليل على صحة دعواهم.

وحسب الكتاب المقدس، عاش بنو إسماعيل في فاران، وفاران حسب الجغرافيين العرب، منطقة تمتد بين مكة إلى الحدود الشمالية لبلاد العرب. وعلى ذلك فإن فاران بكل تأكيد جزء من بلاد العرب كما أن قريش من سلالة إسماعيل. وقد كان من المقدّر أن يتجلى المجد الإلهي من فاران، أي أنه سوف يظهر في بلاد العرب.

كذلك فإن هناك ما يثبت من الكتاب المقدس أن بني إسماعيل قد استقروا في بلاد العرب. إذ نقرأ في سفر التكوين ٢٥: ١٣-١٦ أسماء أبناء إسماعيل الاثني عشر كما يلي:

١- نبايوت ٢- قيدار ٣- أدبئيل ٤- مبسام ٥- مشماع ٦- دومة ٧- مسّا ٨- حدار ٩- تيما ١٠- يطور ١١- نافيش ١٢- قدْمة

وتبعًا للعادات والتقاليد القديمة، يجب أن نتوقع تداول هذه الأسماء في سلالتهم وذرياتهم. فعلى سبيل المثال، نجد أن سلالة يعقوب قد تَسمَّوا باسم أبيهم إسرائيل، أي بني إسرائيل. وأيضا نجد أنهم سمّوا مُدنًا بأسماء آبائهم. وفي ضوء هذه الحقائق، يكون مسح السكان في بلاد العرب يكشف لنا أن أسماء الأبناء الاثني عشر لإسماعيل موجودة ومنتشرة في أجزاء مختلفة من بلاد العرب. فقد ملأت سلالة إسماعيل البلاد في طولها وعرضها.

إن الابن الأول كان نبايوت. ويعين الجغرافيون المنطقة المأهولة بسلالته بين خطّي عرض ٣٠ و ٣٨ شمالا، وخطّي طول ٣٦ و ٣٨ شرقا. وقد ورد في كتاب (خطبات أحمدية) أن القس كاتري بيكاري يعترف بهذا الرأي الذي يسوقه الجغرافيون، ويضيف بأن سلالة نبايوت تشغل المنطقة التي بين فلسطين ومدينة "ينبع" وهي ميناء المدينة المنوّرة.

وقيدار الابن الثاني، يشكل نسله أيضا جزءًا من السكان العرب. وإن المعنى الحرفي لكلمة قيدار هو "من العِير"، مما يشير إلى مكان سكنهم في منطقة بين الحجاز والمدينة. وقد وصف بطِليموس وبليني سكان الحجاز، وذكروا قبائل قيدار وجيدور (ويبدو أنها كلمة محرفة عن قيدار)*. ويوجد من الأعراب اليوم من يعتبرون أنفسهم من ذرية قيدار.

الابن الثالث هو أدبئيل. وحسب المؤرخ يوسفوس، فإن الأدبئيليين يقطنون في نفس المنطقة أيضا. الابن الرابع هو مبسام. ولا نستطيع أن نجد أثرا لقبيلته أو منطقة بهذا الاسم في كتب الجغرافية المعروفة. ومن الممكن أن يكون الاسم قد تحرّف إلى لفظ لا نستطيع مقارنته بالأصل. الابن الخامس هو مشماع. وقبائل المشماع معروفون اليوم في الجزيرة العربية ولا يحتاجون إلى تعريف. الابن السادس هو دومة. وهناك منطقة معروفة في الجزيرة العربية تحمل اسم دومة،

* إن تحريف القاف لتصبح جيما أمر شائع في بعض اللهجات العربية حتى يومنا هذا، وهذه الظاهرة منتشرة في الجزيرة العربية والعراق وبادية الشام. (الناشر)

والجغرافيون العرب كانوا دائما ينسبون هذا الاسم إلى الابن السادس لإسماعيل. الابن السابع هو مسّا. واسمه لا يزال كما هو تحمله قبائل يمنية، كما يمكن تتبع آثارهم القديمة إليه، كما يقول كاتري بيكري. الابن الثامن هو حدار، وقد سُمّيت باسمه المدينة اليمنية المعروفة "الحديْدا".

الابن التاسع هو تيما. والمنطقة الممتدة ما بين نجد والحجاز تدعى تيماء، ويبدو أن نسله قد امتد منها شرقًا إلى الخليج الفارسي.

الابن العاشر هو يطور. ويمكن تتبُّع اليطوريين أيضا الموجودين في بلاد العرب باسم اليدوريين. إن تحوُّل الجيم إلى ياء والطاء إلى دال كثيرا ما يحدث في اللغة العربية.

الابن الحادي عشر هو نافيش. ويعتبر "فوستر" حسب رأي كل من يوسفوس والكتاب المقدس أن سلالة نافيش عاشت في براري الجزيرة العربية.

الابن الثاني عشر هو قدمة. وسُكنى سلالته في اليمن، وذلك حسب رأي الجغرافي المعروف "المسعودي". والقبيلة المعروفة باسم "أصحاب الرس" والمذكورة أيضا في القرآن المجيد هي من سلالة إسماعيل، وقد كانت تتكون من قبيلتين اسم أحدهما قدمة والأخرى يمين. وحسب رأي بعض المصادر تسمى القبيلة الثانية رعويل وليس يمين.

وعلى ذلك، فإن الدلائل التاريخية والجغرافية، تبين أن ذرية إبراهيم قد سكنت في بلاد العرب، وكانوا جميعهم يحملون أعظم آيات التقديس والتوقير لمكة المكرّمة. ومن هذا يظهر أن إسماعيل قد استقر أولا في مكة. وهذه هي المنطقة التي اسمها فاران حسب شهادة كل من العرب والكتاب المقدس. وشهادة الوحي الذي تلقاه النبي إشعياء ٢١: ١٣-١٧ تؤيد أيضا هذا الرأي:

"وحي من جهة بلاد العرب. في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين. هاتوا ماء لملاقاة العطشان، يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب

بخبزه. فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب. فإنه هكذا قال لي السيد، في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار. وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار تقل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلّم".

في هذه النبوءة صورة وصفية لمعركة بدر التي وقعت بعد سنة تقريبا من هجرة الرسول الأكرم ﷺ من مكة إلى المدينة. وفي تلك المعركة، لاقى أبناء قيدار "أهل مكة وضواحيها" الهزيمة المخزية، وباءوا بالفشل الذريع على أيدي المسلمين. لم يستطيعوا الصمود أمام السيف المسلول للمسلمين، ولا أمام القوس المشدودة للرماة، فانهارت فلولهم أمام شدة الحرب. ولاحظ الكلمات التي تبدأ بها النبوءة "وحي من جهة بلاد العرب"، وهنا تُذكر "تيماء" و "قيدار" على أنهما مناطق لقبائل عربية. وحسب هذا النص الذي أُوحي به للنبي إشعياء منذ سبعمئة وأربع عشرة سنة قبل المسيح، كانت سلالة إسماعيل تعيش في الحجاز.

وباختصار، من أي جانب نظرنا إلى هذا الموضوع، نجد الكثير من الدلائل على أن قريشا كانوا من سلالة إسماعيل، وأن فاران التي ذكرها الكتاب المقدس هي الأرض التي عاشت عليها هذه السلالة. وبالتالي فإن مجد الله الذي كان مقدرا له أن يتجلى من فاران حسب نبوءة موسى عليه السلام قد تحقق بالفعل عند بعثة الرسول محمد ﷺ.

## ذكر الرسول ﷺ في نبوءات حبقوق

وقد وردت عن هذه البعثة الشريفة نبوءة أخرى على لسان النبي حبقوق، وجاءت في سفر حبقوق ٣: ٣-٧ منذ ٦٢٦ قبل ميلاد المسيح عليه السلام:

"الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع، وهناك استتار قُدرته. قدامه ذهب الوباء، وعند رجليه خرجت

الحمّى. وقف وقاس الأرض، نظر فرجّف الأمم، ودُكّت الجبال الدهرية وخَسفت آكام القدم، مسالك الأزل له. رأيت خيام كوشان تحت بليّة، رجفت شُقق أرض مديان".

هنا جاء ذكر تيمان والقدوس من جبل فاران. ويتّضح من نبوءات موسى وحبقوق أن مجيء المسيح عليه السلام لا يشكّل المرحلة الأخيرة من تطور الإنسان الروحي، بل سيتبعها مقدم نبي آخر يشكّل التجلي الثالث للمجد الإلهي. وبذلك النبي وحده يتجلى كل من المظهرين الجلالي والجمالي للقدرة والمجد الإلهي، وسوف يأتي إلى العالم بشريعة نارية، وليست مجرّد رسالة للصفح والغفران.

إن مجيء الله من تيمان وظهور القدوس من جبل فاران يشير إلى الرسول ﷺ، وشريعته النارية تشير إلى القرآن المجيد الذي له فضل إحراق الشرور والنوازع الشيطانية التي تؤدي إلى ارتكاب الذنوب والمعاصي، وتحويلها إلى رماد. لقد قال موسى بحق عن النبي الموعود أنه سيأتي ومعه عشرة آلاف قديس، ويعلم العالم أجمع أن الرسول ﷺ هو النبي الذي ظهر في فاران ودخل مكة ومعه عشرة آلاف من الأتباع المخلصين. فهل يمكن القول بأن أيّا من المسيح أو داود أو موسى قد حقق هذه النبوءة العظيمة؟ هل جاء أحد منهم من فاران؟ هل انتصر أحدهم في معركة وكان معه عشرة آلاف من القديسين الأتباع؟ لقد كان للمسيح اثنا عشر من التلاميذ، باعه أحدهم من أجل دراهم معدودة، والآخر لعنه خوفا من العقاب. أما العشرة الباقون فقد ظلوا على الإيمان، ولكن كما تحكي الأناجيل، حتى هؤلاء هربوا وتفرّقوا عندما عُلّق المسيح على الصليب. وحتى لو كانوا قد وقفوا بجانب معلّمهم، فكيف يُقارَن بين عشرة أشخاص وعشرة آلاف من المؤمنين. ثم إن نبوءة موسى في التثنية ٣٣: ٢ تخبرنا بأن النبي الموعود الذي سيأتي من فاران سيأتي ومعه عشرة آلاف قديس، ولكن الأناجيل تخبرنا بأن العشرة الذين آمنوا بالمسيح تخلوا عنه وهربوا عند واقعة الصليب.

وإحدى علامات النبي الموعود التي ذكرها حبقوق هي أن الأرض تمتلئ

بتسبيح الله وحمد آلائه، نتيجة لانتشار شريعة ذلك النبي وتعاليمه، ويُضفي الله عليه صفاته الحميدة، فيكون محمدا في الأرض والسماء. وليس من الصدف أن يكون اسمه أيضا محمدا. ولما أنكره قومه وشجبوا دعوته وأرادوا أن يسبّوه، لم يعرفوا كيف يسبّون شخصا اسمه محمد، فغيروا اسمه من محمد إلى مذمم. ولما غضب الصحابة بسبب السبّ والإهانة التي وُجّهت إليه، طيّب خاطرهم وقال لهم: "ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد" (البخاري باب ما جاء في أسماء الرسول ﷺ). إن رجلا اسمه في جمال شخصيته وجمال صفاته هو وحده الذي يحقق نبوءة حبقوق عن النبي الموعود. وليست الأهازيج والقصائد الشعرية التي نُظمت في التغني بحسن صفاته في جميع أنحاء العالم بأقل دلالة على ذلك.

ثم يقول حبقوق أيضا في نبوءته:

"قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحمّى" (حبقوق ٣: ٥).

إن علامة النبي الموعود قد تحققت أيضا في نبي الإسلام ﷺ. صحيح أن النبوءة تذكر وباءً، أي مرضا ينتشر على نطاق واسع، ولكن المقصود هنا هو الموت والخراب الذي يأتي به الوباء. ولما كان المشركون قد عانوا الموت والخراب بشكل كبير في عدوانهم على الرسول ﷺ، يكون قد حقق أيضا هذا الجزء من النبوءة.

وتقول النبوءة أيضا:

"وقف وقاس الأرض، نظر فرجّف الأمم" (حبقوق ٣: ٦).

هذا الجزء من النبوءة، مثل جوانبها الأخرى، لا تنطبق على موسى ولا على عيسى عليهما السلام. فقد مات موسى وهو لا يزال يحارب أعداءه، بينما عُلّق المسيح على الصليب. إن النبي الذي نظر فارتجفت الأمم هو نبي الإسلام ﷺ. ولا غرو أنه قال عن نفسه: "نُصرت بالرعب مسيرة شهر" (البخاري).

ثم تقول النبوءة:

"ودُكّت الجبال الدهرية، وخسفت آكام القِدم، مسالك الأزل له" (حبقوق ٣: ٦).

وينطبق هذا الجزء من النبوءة على نبي الإسلام ﷺ. فقد قُطع دابر أعدائه و لم يعد لهم وجود. والجبال التي تُسمى أيضا الأعلام، هم كبار القوم أو الأعلام من الناس من ذوي القوة والسلطان.

ثم يذكر حبقوق أيضا:

"رأيت خيام كوشان تحت بليّة. رجفت شقق أرض مديان".

ويبين هذا الجزء بوضوح أن النبي الموعود لا ينتمي إلى بلاد الشام لأن خيام كوشان وميديان هي التي يصيبها الذعر وتكون تحت بليّة عندما تظهر جيوش النبي الموعود. وهذا الوصف لا يمكن أن ينطبق على موسى ولا عيسى – عليهما السلام – وإنما ينطبق فقط على نبي الإسلام ﷺ. فعندما خرج جيش المسلمين الصغير في زمن الخليفة الأول أبي بكر ؓ وتقدَّمَ نحو فلسطين، دون اعتبار أنها كانت تحت سلطان القيصر الروماني، الذي كان يحكم نصف العالم المعروف في ذلك الوقت، ومع ذلك فإن الجيوش الرومانية الجرّارة انهزمت أمام قوة المسلمين الصغيرة. وأصبحت "خيام كوشان تحت بليّة ورجفت شقق أرض مديان"، فإن الأقوام التي تسكن هذه الأماكن وجدوا السلامة والنجاة في إلقاء السلاح أمام صحابة الرسول الأكرم ﷺ.

## بعثة الرسول ﷺ كما ذكرها سليمان ؑ

(أ) جاء في سِفر نشيد الأنشاد ٥: ١٠-١٦ ما يلي:

"حبيبي سليم وأسمر لا عيب فيه. عَلَمٌ بين عشرة آلاف. رأسه ذهب إبريز. وغدائره نخيل حالكة بلون الغراب. عيناه حمامتان على مجاري المياه

مغسولتان باللبن وهما في محجريهما. خدّاه روضة أطياب وخميلة رياحين. شفتاه سوْسنتان تقطران عبير المرّ. يداه مجللتان بالذهب، مليئتان بالزبرجد. جسده مُغشّى بالعاج ومغلّف بالياقوت. ساقاه عمودا رخام على قاعدتين من إبريز. طلعته مثل لبنان، وهو مهيب كأرزه. ريقه أعذب ما يكون، وهو شهي كله. هذا حبيبي، هذا رفيقي يا بنات أورشليم". (الترجمة العربية من النسخة الجديدة المطبوعة عام ١٩٩٣ في بيروت)

هذه النبوءة تَعد بظهور نبي يفوق الأنبياء الآخرين عظمة، وتسمو مرتبته على مراتبهم، وذلك لأن الوصف الجزل الذي جاء في سفر نشيد الأنشاد، كان إجابة على سؤال مذكور في الفقرة السابقة مباشرة لهذا الوصف في ٥: ٩ ويقول:

"ما فضل حبيبك على الأحباء أيتها الجميلة في النساء"؟

وتقول الإجابة إن هذا الحبيب سوف يقف "علم بين عشرة آلاف". وكما أن العلم يرمز أيضا للجيش، فكأن المقطع المذكور يقول إن هناك حدثا هاما حيث يتولى هذا المحبوب قيادة عشرة آلاف من أتباعه.

ونقرأ أيضا: " شفتاه سوْسنتان تقطران عبير المر" (٥: ١٣).

والمر هو نوع من الصمغ طعمه مرّ ولكنه ذو رائحة ذكية وله الكثير من الفوائد، فهو يستعمل في المراهم المضادّة للالتهابات، ويساعد على التئام الجروح، وهو قاتل للجراثيم، وتصنع منه الروائح والعطور.

ويذكر النص أيضا أنه "شهي كله"، والأصل العبري لهذه الكلمة هو "محمديم"، وهو يعني أن شخصه وصفاته تستحق الحمد وتجذب الحب والإعجاب.

إن هذه النبوءة تنطبق تماما على رسول الإسلام ﷺ. فهو الذي كان علما على رأس عشرة آلاف من الأبرار القديسين، سار بهم منتصرا من تلال فاران إلى وادي مكة، تماما كما سبق وأنبأ بذلك موسى عليه السلام. وإن تعاليمه هي التي ثبت

بالفعل أنها مثل "عبير المر" للعالم، فهي مرّة الطعم، ولكنها جميلة التأثير والنتائج. وهي تحتوي على مبادئ وقواعد تؤدّي كلها إلى خير المجتمع الإنساني، ومع ذلك فهي قد تحمل بعض المرارة لبعض الأمم. وإنه هو الذي يسمى، وبحق، محمدا.

ويعترض النقاد المسيحيون فيقولون إن الحبيب المذكور في هذه النبوءة اسمه محمديم وليس محمدا. ولكن هذا الاعتراض لا وزن له. فإن العهد القديم يستعمل لله تعالى اسم "إلوهيم". ومن المألوف في اللغة العبرية أن تُستعمل صيغة الجمع للتعبير عن التعظيم والتشريف للفرد. وهذا أسلوب معروف في اللغة الأردية أيضا.

(ب) في سفر نشيد الأنشاد، الذي يقال إن سليمان عليه السلام كتبه، نجد نبوءة أخرى أيضا عن رسول الإسلام ﷺ، في ٤: ٩-١٢ حيث جاء ما يلي:

"٩ قد سَبَيْت قلبي يا أختي العروس، قد سبيْت قلبي بإحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك. ١٠ ما أحسنَ حُبَّك يا أختي العروس، كم محبّتك أطيب من الخمر وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب. ١١ شفتاك يا عروس تقطران شهدا. تحت لسانك عسل ولبن ورائحة ثيابك كرائحة لبنان. ١٢ أختي العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم. ١٣ أعراسك فردوس رمّان مع أثمار نفيسة فاغية ونارْدين".

في هذا المقطع يخاطب سليمان عليه السلام في أسلوب أدبي محبوبته باعتبارها أخته وعروسه في نفس الوقت، وذلك كما جاء في الفقرة (٩، ١٠، ١٢). وخطابها بالأخت والعروس لم يرد عبثا، بل يهدف إلى مفهوم معيّن. فكلمة "أخت" تعني أن النبي الموعود سيكون من إخوة بني إسرائيل، وكلمة "عروس" تعني أن رسالة النبي الموعود لن تقتصر على قومه فقط كما كانت رسالات جميع أنبياء بني إسرائيل، بل تتعدّى العرب وتفتح أحضانها للأمم الأخرى أيضا. ويجب ألا يخدعنا استعمال صيغة المؤنث للمخاطب، فالمعنى جاء بأسلوب شعري في قالب من الاستعارات والكنايات، ولذلك فإن الفقرة الأخيرة من الإصحاح تستخدم صيغة

المذكر، وهو أمر متناقض ولكن له دلالة واضحة، إذ تقول:

"ليأت حبيبي إلى جنّته ويأكل ثمره النفيس" (٤: ١٦).

فالنبوءة المذكورة في (٤: ٩-١٢) تنطبق على رسول الإسلام ﷺ. إن المسيح عليه السلام كان من بني إسرائيل ولم يكن من إخوة بني إسرائيل، كما أن تعاليمه لم تكن سوى لقومه فقط.

(ج) وأيضا في سفر نشيد الأنشاد ١: ٥-٦ نقرأ ما يلي:

"أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان. لا تنظرْن إليّ لكوني سوداء لأن الشمس قد لوّحتني."

يبدو أن سليمان عليه السلام قد أخبر عن مجيء نبي يأتي من الجنوب، وأنه (أو قومه) يكون أسمر اللون عند مقارنته بأبناء إسحاق. ومن المعروف جيدا أن سكان الشام وفلسطين تميل بشرتهم إلى البياض أكثر من سكان الجزيرة العربية. وقد كان النبي ﷺ عربيا.

(د) وجاءت الفقرة التالية لتزوّدنا بعلامة أخرى للنبي الموعود كما يلي:

"بنو أمي غضبوا عليّ، جعلوني ناطورة الكروم، أما كرْمي فلم أنطره." (١: ٦)

هذا وصف صادق للقوم الذين ينتمي إليهم النبي الموعود. فعند مقدم الرسول ﷺ كان العرب قوما يفتقدون الطموح القومي، وكانوا يعملون لحساب الفرس والرومان، ولكنهم ما كانوا يعملون شيئا من أجل بلادهم. ولما جاء الرسول ﷺ استيقظ العرب من سباتهم، وقامت حركة بقيادة العرب، شملت كل زاوية من جوانب التقدم الإنساني، سواء كان روحيا أو فكريا أو سياسيا. ولم يصِر العرب نواطير (أي رعاة) كرْمهم (بلادهم) فحسب، بل أصبحوا رعاة كروم العالم كله.

(هـ) ويحتوي سفر نشيد الأنشاد تحذيرا لبني إسرائيل، ألا يتدخلوا في شؤون

النبي الموعود ولا يعرقلوا جهوده. إذ نقرأ في ٢: ٧ ما يلي:

"أحلّفكن يا بنات أورشليم بالظّباء وبأيائل الحقول ألا تُيَقّظن ولا تنبّهن الحبيب حتى يشاء".

ويستمر هذا التحذير في سفر نشيد الأنشاد، ويتكرر في ٣: ٥ ثم يُتابع في ٨: ٤، وهو يعني شيئا واحدا، إذ يشير إلى أن سليمان عليه السلام يحذر اليهود والنصارى، باعتبارهم فرعين لإسرائيل، أنهم سوف يعارضون ويضايقون النبي الموعود؛ ولكن لما كان ذلك النبي مبعوثا من لدن الله تعالى، فإنهم لن ينجحوا في معارضتهم، وإنما سيخيب مسعاهم ويلاقون هزيمة مخزية، ولذلك يحذّر سليمان قومه فيحلّفهم ألا يوقظوا أو ينبّهوا الحبيب حتى يشاء. أي أنه ينصح كلا من اليهود والنصارى ألا يفعلوا شيئا يؤذي النبي الموعود، وعليهم أن يقبلوه عندما يمتد نفوذه إلى بلادهم. فلا جدوى من معارضته، ومحاولة إيقاف مدّ دعوته ورسالته ستعود على المعارضين بالخسران والخراب. فإن من يقف عائقا في طريق مهمة الأنبياء يجعل من نفسه محط غضب الله تعالى وعقابه. وقد تحقق هذا التحذير. لقد صار اليهود والنصارى من المعارضين فجلبوا على أنفسهم العقاب الإلهي. ولو أن الناس اتخذوا موقفا حياديا تجاه النبي و لم يبادروه بالعنف، فلن يتخذ إزاءهم أية خطوات عدوانية، وإنما سوف يقتصر على الدعوة والإرشاد. وقد يحدث أحيانا أن يضطر النبي إلى أن يستل سيفه، ولكن هذا لا يكون إلا في مواجهة أولئك الذين استلوا سيوفهم ضدّه. فهو لا يحارب إلا من اعتدى عليه وبدأه بالحرب، وأراد أن يتصدّى بالقوة للقضاء على الرسالة التي أنزلها الله تعالى. وإن المثال الذي قدمه الرسول صلى الله عليه وسلم هو خير مثال في هذا الشأن. وقد حذر سليمان قومه من المقاومة العقيمة ونتائجها الوخيمة التي سوف تحل بهم.

إن هذه النبوءات لا يمكن أن تنطبق على المسيح عليه السلام. فإن المسيح لم يظهر من جنوب فلسطين، ولا هو من بين إخوة بني إسرائيل، ولا كان له من وسائل المنعة ما يمكّنه من القضاء على مقاومة أعدائه من بني إسرائيل. لذلك فإن

النبوءات لا تنطبق إلا على نبي الإسلام ﷺ، فهو المحبوب الذي ذكره سليمان في نشيد الأنشاد، والأناشيد كلها ليست سوى ذكر شعري لأوصاف الرسول ﷺ.

## نبوءات إشعياء

إن سفر إشعياء أيضا يعجّ بالنبوءات عن رسول الإسلام ﷺ، وكلها تشير إلى مقدم نبي عظيم آخر، يأتي برسالة السلام والطمأنينة للعالم أجمع. ولكن، حسب ما اقتضته السُنة الإلهية، فإن النبوءات دائما تأتي مغلفة بالرمز الذي يستدعي التفسير قبل أن يتّضح معنى النبوءة. وأحيانا تأتي الأسماء في هذه النبوءات، مثل أورشليم وصهيون وغيرها، بصفة رمزية. غير أن هذه الأسماء جعلت الكتاب المسيحيين يميلون إلى الظن أن هذه النبوءات تختص بالمسيح عليه السلام. ولكن الأسماء في حد ذاتها لا تُشكل أي جزء من هذه النبوءات. فإذا كان المضمون العام للنبوءات لا تنطبق على المسيح عليه السلام فإن اسم أورشليم أو إسرائيل أو صهيون لا تبرر انطباقها عليه. صحيح أن الأسماء لها معنى أيضا، ولكنه المعنى الذي يناسب المضمون العام للنبوءة. وعلى هذا فإن اسما كاسم أورشليم يعني الأماكن المقدسة، واسما كإسرائيل يمكن أن يعني شعبي المختار، وليس من المحتم أن تكون هذه الأسماء تعني أورشليم وإسرائيل بالذات.

(أ) النبوءة الأولى التي نود أن نذكرها من سفر إشعياء مذكورة في ٤: ١-٣، وهي كما يلي:

"في ذلك اليوم تتمسّك سبع نساء برجل واحد وتعلن له: نحن نطعم ونكسو أنفسنا، دعنا نحمل اسمك فتنْزع عنا عارنا. وفي ذلك اليوم يجعل الرب كل نبتة في الأرض جميلة زاهية وكل ثمرة فيها بهجة وفخرا للناجين من بني إسرائيل. ومن بقي في صهيون وتُرك في أورشليم يقال له قديس فتُكتب له الحياة".

عندما نعتبر أن الأسماء المذكورة في هذه النبوءات ليست إلا رمزا، نجد على

الفور أن مضمون النبوءة كلها انطبق على رسول الإسلام ﷺ ولا أحد سواه. فالنبوءة تذكر أن النبي الموعود يأتي بالثروة والجاه، وأن كنوز الدنيا تُلقَى عند قدميه، وأن قومه يُدعون قديسين، وأن تعدد الزوجات يكون القاعدة الدارجة في ذلك الزمن. فهل تنطبق هذه العلامات على المسيح وتلاميذه؟ هل جاءوا بزمن الثروة والجاه لقومهم؟ هل ألقيت كنوز الأرض عند أقدامهم؟ هل كان تعدد الزوجات شائعا في مجتمعهم؟ لا. إن جميع هذه العلامات تنطبق على رسول الإسلام ﷺ وعلى أتباعه وزمنه. إذ يقال إن المسيح لم يسمح بتعدد الزوجات، بينما أباح الرسول ﷺ تعدد الزوجات، بل وأمر به تحت بعض الظروف الخاصة. فقد استلزم الأمر في زمنه خوض الحروب للدفاع عن الدين، واضطر الكثير من الشباب أن يُضحّوا بأرواحهم، فكثرت الأرامل، بالإضافة إلى أن الفتيات اللاتي في سن الزواج أصبحن يجدن صعوبة في العثور على أزواج لهن. ولذلك أمر الرسول ﷺ بتعدّد الزوجات ليمنع انتشار الفاحشة، ولتعويض النفوس التي فقدت في الحروب.

(ب) وفي إشعياء ٥: ٢٦-٣٠ نجد ما يلي:

"فيرفع راية للأمم من بعيد ويصفر لهم من أقصى الأرض فإذا هم بالعجلة يأتون سريعا. ليس فيهم رازح ولا عاثر، لا ينعسون ولا ينامون ولا تنحل حُزم أحقائهم ولا تنقطع سيور أحذيتهم. الذين سهامهم مسنونة وجميع قسيّهم ممدودة، حوافر خيلهم تحسب كالصوّان وبكَرَاقم كالزوبعة. لهم زمجرة كاللبوة ويزمجرون كالشبل ويهرّون ويمسكون الفريسة ويستخلصونها ولا منقذ. يهرّون عليهم كهدير البحر، فإن نُظِرَ إلى الأرض فهوذا ظلام الضيق والنور قد أظلم بسُحُبِها".

تشير هذه النبوءة إلى أن زمنا سوف يأتي حين يظهر رجل في مكان ما خارج أرض فلسطين، يحمل علما أو يرفع راية، فيدعو شعوب العالم فيهرعون إليه ويلتفّون حوله. وهؤلاء الذين يستجيبون له يخلعون عن أنفسهم ثوب التراخي

والكسل، ويقدّمون التضحيات العظيمة في سبيل غاياقم السامية. وسيخوضون المعارك والحروب، فتقدح حوافر أقدام خيولهم نار الشرر، وسوف ينقضّون على أعدائهم كالعاصفة، فيُخضعون عدوهم حتى إن أحدا لا يستطيع إنقاذه من أيديهم. وأما لماذا يفعلون ذلك؟ فلأنهم يرون العالم من حولهم قد طواه الظلام وأصبح الأمر يحتاج لتغيير الحال.

وتنطبق هذه النبوءة بجميع محتواها على رسول الإسلام ﷺ، وهناك إشارة إليها في القرآن المجيد أيضا. وقد ظهر الرسول الأكرم ﷺ طبقا لهذه النبوءة من مكان خارج فلسطين، أي في مكة المكرّمة، ورفع رايته في المدينة المنوّرة؛ وهو الذي دعا للعالم كافة وأعلن نداءه:

﴿قُلْ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف:١٥٩)

لقد كان صوته هو الذي استجاب له الرجال والنساء من أقصى الأرض وخفّوا إليه يلبّون دعوته بعزم وحماس. وأما المسيح عليه السلام فلم يلبّ دعوته ولم يؤمن به طوال الثلاثة والثلاثين عاما التي قضاها في فلسطين فرد واحد من خارج فلسطين. وجاء كل تلاميذه من منطقة لا يزيد قطرها عن أربعين أو خمسين ميلا. ولكن المؤمنين بالرسول الأعظم ﷺ جاءوا من اليمن ومن نجد ومن إيران، وكان من بينهم عبدة الأصنام واليهود والنصارى. وقد قدّموا الكثير من التضحيات العظيمة تلبية لنداء الرسول ﷺ، وبذلوا أنفسهم مختارين دون أي تردّد، حتى إن أعدى أعداء الإسلام أنفسهم لم يجدوا بُدّا من الاعتراف بروح البذل والتضحية التي أبدوها. بل إن الله تعالى أثنى عليهم في القرآن المجيد، حيث يقول:

﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التوبة:١٠٠)

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرْ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ (الأحزاب:٢٤)

إن أتباع الرسول ﷺ هم الذين اضطروا إلى خوض الحروب وإلى استعمال القوس والسهام. وكانت سنابك خيولهم كالقداحة التي يخرج منها الشرر، وكانت كرّاتهم على عدوّهم كالزوبعة. ونجد في القرآن المجيد إشارة أيضا إلى هذا الوصف حيث يقول:

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ (العاديات: ٢-٦)

هذا هو وصف المجاهدين في صدر الإسلام، وما أصدقه من وصف يتجاوب تماما مع نبوءة إشعياء!

وقد جاء في جزء من هذه النبوءة:

"فإن نُظر إلى الأرض فهوذا ظلام الضيق والنور قد أظلم بسحبها" (إشعياء ٥: ٣٠)

ويشير القرآن المجيد إلى هذا الوضع في العالم عند بعثة الرسول ﷺ فيقول:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (الروم:٤٢)

أي أن الظلمات غطت على قبس الحكمة في عقول البشر، وأطفأت شعلة الهداية الإلهية، فأمست الحاجة شديدة إلى نبي جديد يحمل رسالة جديدة من الله تعالى.

ويقول تعالى أيضا:

﴿ قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الطلاق:١١-١٢)

(ج) ولدينا من إشعياء أيضا:

"قدِّسوا رب الجنود فهو خوفكم وهو رهبكم. ويكون مقدسًا وحجر صدمة وصخرة عثرة لبيْتيْ إسرائيل وفخًّا وشرَكا لسكان أورشليم. فيعثر بها

كثيرون ويسقطون فينكسرون ويعلقون فيُلقَطونَ. صرّ الشهادة اختم الشريعة بتلاميذي. فأصطبر للرب الساتر وجهه عن بيت يعقوب وأنتظره" (إشعياء ٨: ١٣-١٧)

تذكر هذه النبوءة بوضوح نبأ ظهور رجل مقدس يكون مقدمه امتحان لكل من بيتي إسرائيل، ويكون فخا وشَرَكا لسكان أورشليم، الذين سوف ينهزمون فيسقطون وينكسرون إذا اختاروا أن يعارضوه ويقاوموه. وسوف تحل شريعته محل شريعة موسى، وسوف يصرف الله تعالى وجهه عن بيت يعقوب.

والكتّاب المسيحيون يلتزمون الصمت عن هذه النقطة. ولعلهم يفهمون أن المقصود ببيْتيْ إسرائيل هما الفريقان الذي أيد أحدهما ابن سليمان "رحبعام" والفريق الثاني الذي عارضه، وبذلك فقد أقاموا دولتين متنافرتين. ولكن لا يصلح هذا التفسير، لأن النبوءة تتحدث عن ظهور رجل مقدس، وتتكلم عن أمور وحوادث سوف تجري في زمنه. إن هذا الرجل المقدس لا بد أن يكون المسيح عليه السلام أو رجل آخر يظهر بعده، لأنه في المدة بين إشعياء والسيد المسيح لم تظهر شخصية دينية لها وزن، تكون قد واجهت بني إسرائيل برسالة لها أهميتها وقدرها. ولكن، هل واجه المسيح بني إسرائيل بمثل هذه الرسالة؟ وهل تكبّد بنو إسرائيل الهزيمة والخزي على يديه عندما وقفوا ضده؟ وهل ختم المسيح الشريعة لتلاميذه وأعلن لهم نسخ شريعة موسى؟ إن المسيح بنفسه يجيب على هذه النقطة الأخيرة بوضوح كامل حيث يقول:

"لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمّل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل" (متى ٥: ١٧-١٨)

لقد فصَل المسيح في القضية بنفسه، ليس في زمنه فحسب، بل للمستقبل أيضا. فإن ما أضافه إنجيل مرقس له دلالة خاصة حيث قال:

"فقال لهم يسوع هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم. ما

دام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا. ولكن ستأتي أيام حين يُرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون في تلك الأيام" (مرقس ٢: ١٩-٢٠)

يتضح جليا من هذه التصريحات أن المسيح جعل طاعة الناموس الموسوي واجبا على تلامذته حتى بعد موته، وإلا لقال لهم إن أيام الصيام قد انتهت، ولكنه صام هو نفسه، وذكر أن تلامذته سوف يصومون أيضا من بعده. وعلى هذا، فإن ختم الشريعة لا يعني إلغاء الشريعة، ولا نبذ فكرة ضرورة القيام بتنفيذ الأوامر الدينية المحددة، وإنما يعني أنه في زمن الرجل المقدس الموعود سوف تحل شريعة أخرى جديدة محل الشريعة الموسوية. وإن لم يكن هذا التفسير صحيحا، فلماذا يستر الرب وجهه عن بيت يعقوب، كما قال: "فأصطبر للرب الساتر وجهه عن بيت يعقوب وأنتظره"؟ ألم يكن المسيح من بيت يعقوب؟ إن لم يكن من بيت يعقوب لما كان من نسل داود، وإن لم يكن من نسل داود لما كان هو المسيح الموعود به في النبوءات، حيث كان يتوجّب أن يكون المسيح من نسل داود.

(د) في سفر إشعياء ٩: ٦-٧ نجد ما يلي:

"لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام. لنموّ رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبّتها ويعضُدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هذا".

تذكر هذه النبوءة مقدم ملك له خمسة أسماء أو أوصاف: (١) عجيب. (٢) مشير. (٣) إله قدير. (٤) أب أبدي. (٥) رئيس السلام. لا نهاية لنمو رياسته والسلام في مملكته، وسوف يجلس إلى الأبد على مملكة داود، ويثبّتها ويعضّدها بالحق والبر.

ويقول مفسرو الأناجيل في ملاحظاتهم الرئيسة في الحاشية على هذا الإصحاح إن هذه النبوءة تتعلق بمولد المسيح عليه السلام. ولكن، لا توجد بين

الصفات التي جاءت في هذه النبوءة أية صفة تنطبق عليه. وعلى سبيل المثال، هل أصبح المسيح ملِكًا في أي وقت من الأوقات؟ هل تنطبق عليه أية صفة من الصفات المذكورة: عجيب، مشير، إله قدير، أب أبدي، رئيس السلام؟ أما صفة العجيب، فلعله كان عجيبا بسبب مولده، ولكن هذا في أعين المؤمنين به فقط، لأن من أنكروه كانوا يعتبرونه ابن الخطيئة، ومن ثم فلا يمكن أن يصفوه بأنه عجيب. وأما أولئك الذين أيّدوه فكانوا في شك من سلالته، ففي رأي البعض منهم كان من نسل داود.

ثم نقرأ ما يلي:

"خلّص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلّصها، إن كان هو ملك إسرائيل فلينْزل الآن عن الصليب فنؤمن به. قد اتّكل على الله فلينقذه الآن إن أراده لأنه قال أنا ابن الله. وبذلك أيضا كان اللصان اللذان صُلبا معه يعيّرانه" (متّى ٢٧: ٤٢-٤٤)

يتبين من هذا أن المسيح لم يظهر أبدا بمظهر القوة والقدرة، ولم يوصف أبدا بأنه "قدير"، ولم يقل أحد أبدا عنه إنه كان قديرا، سواء كان صديقا أم عدوّا. ولو لم يكن الأمر كذلك لما تركه تلامذته وهربوا، إذ يقول متّى في إنجيله:

"وأما هذا كله فقد كان لكي تُكمّل كتب الأنبياء، حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا" (متى ٢٦: ٥٦)

فهل يلقى "القدير" مثل هذا المآل؟

الصفة الرابعة التي جاءت في النبوءة هي "ربا أبديا"، وهذه الصفة لا تنطبق أيضا على المسيح، فكما بيّنا فيما سبق أنه هو بنفسه أعلن عن مجيء شخص آخر بعده.

والصفة الخامسة هي "رئيس السلام"، وحتى هذه لا تنطبق على المسيح. فهو لم يكن ملكا أبدا، ولم يستطع أبدا أن يأتي بالسلام إلى العالم. بل على العكس،

لقد ظل مضطهَدا من أعدائه الذين نجحوا في النهاية أن يعلّقوه على الصليب.

ثم تذكر النبوءة علامة أخرى وهي "لنموّ رياسته وللسلام لا نهاية". و لم يصل المسيح أبدا لرياسة أي دولة أو أية حكومة، وعلى ذلك فما كان له أن يشهد أي نمو.

والعلامة التالية هي "على كرسي داود وعلى مملكته ليثبّتها ويعضُدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد". وهذه العلامة لا يمكن أن تنطبق على المسيح أيضا.

إن هذه العلامات تنطبق على رسول الإسلام ﷺ. فإنه هو الذي حمل على أكتافه مسؤوليات الدولة، بعد أن وجد نفسه ملكا، دون أن يسعى إلى الملك وبغير أن يطلبه. وإن المثير في الأمر أن المسيح لم يحظ أبدا بالملك، مع أنه كان دائما يتمنى أن يكون ملكا، وقد حوكم بتهمة أنه كان يدّعي لنفسه أنه ملك اليهود، كما جاء ذلك فيما يلي:

"فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل. قولوا لابنة صهيون هو ذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان" (متّى ٢١: ٤-٥)

"فوقف يسوع أمام الوالي فسأله الوالي قائلا أنت ملك اليهود، فقال له يسوع أنت تقول" (متّى ٢٧: ١١)

"فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس وابتدأوا يشتكون عليه قائلين إننا وجدنا هذا يُفسد الأمّة ويمنع أن تُعطى جزية لقيصر قائلا إنه هو مسيح ملك. فسأله بيلاطس قائلا أنت ملك اليهود؟ فأجابه وقال أنت تقول" (لوقا ٢٣: ١-٣)

أما الرسول ﷺ فقد كان ملكا حقيقيا، ومع ذلك فلم يكن يحب الملك، وكان يحذّر أتباعه دائما من تقليد أساليب كسرى وقيصر.

إن أحد الأسماء التي وردت في النبوءة هو "عجيب". وقد اعترف المسيح أن الذي يحمل هذا اللقب هو من سيأتي بعده، وقد جاء هذا الاعتراف في المثل

الذي ذكره عن " الكرم والكرّامين" ورواه متّى في إنجيله ٢١: ٣٣-٤٤، وهو كما يلي:

"كان إنسان رب بيت غرس كرْما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى كرّامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرّامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرّامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا. ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك. فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا يهابون ابني. وأمّا الكرّامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه".

فلما بلغ المسيح هذا الحد من سرد المثل، سأل تلاميذه قائلا:

"فمتى جاء صاحب الكرم، ماذا يفعل بأولئك الكرّامين"؟ (متّى ٢١: ٤٠)

وأولئك الذين كانوا يسمعوه أجابوا قائلين:

"أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديّا ويسلم الكرْم إلى كرّامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها" (متّى ٢١: ٤١)

فقال لهم يسوع:

"أما قرأتم قط في الكتب، الحجر الذي رفضه البنّاءون هو قد صار رأس الزاوية، من قِبَلِ الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنْزَع منكم ويُعطَى لأمّة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضّض، ومن سقط هو عليه يسحقه" (متّى ٢١: ٤٢-٤٤)

وهذا معناه أن بعد مقتل الابن، سيكون هناك آخر، مبعوث من لدن الله تعالى، الذي يكون هو "رأس الزاوية"، والذي هو "عجيب" في أعين المسيح والآخرين جميعا. وعلى ذلك فإن هذا الذي يسمى "عجيبا" سوف يأتي بعد مقتل الابن، فلا يمكن إلا أن يكون هو الرسول ﷺ الذي جاء بعد أن عُلِّق

المسيح على الصليب.

والاسم الثالث للشخص الموعود أنه كان "مشيرا". وهذا الوصف ينطبق بصورة أجلى على الرسول الأعظم ﷺ. فإن أمّة بأكملها تستشيره في أمور دينها، وهو بدوره كان يعقد بانتظام مجالس الشورى مع أتباعه، ووضع إلزاما على الدولة أن تستشير الرعيّة في كل الأمور الهامة. وقد بيّن القرآن المجيد أنه كان من أهم وأقدر المستشارين في قومه، إذ يقول:

﴿يَآ أَيُّهَا الَّذينَ ءَامَنُوا إذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المجادلة:١٣)

ووجود أمر إلهي بفرض صدقة يقدمها الشخص الذي يبتغي المشورة من الرسول ﷺ تبين أن استشارته أصبحت شأنا من الشؤون المعتادة لدى المسلمين، واقتضى الأمر فرض صدقة تطوّعية من أجل جمع بعض الأموال للفقراء، من أولئك الذين يستطيعون تقديم الصدقات. فقد زاد عدد أولئك الذين يبتغون استشارة الرسول ﷺ مما تطلّب منه أن يخصص وقتا طويلا لهذه الاستشارات، فكان من الطبيعي أن تُفرض صدقة على القادرين ممن يرغبون في الاستشارة، فإن وقت النبي ﷺ يخص الناس جميعا، فمن أراد الاستئثار بجزء من هذا الوقت ينبغي عليه أن يساهم في رفع شأن الناس عن طريق المساهمة بالصدقات التي تؤول إلى المال العام، وبهذا فقد أصبحت استشارة الرسول أمرا منظما ومقنّنا. وعلى ذلك فإن الرسول ﷺ هو الذي يستحق أن يلقب بحق "مشيرا". وقد أرسى ﷺ نظام الشورى وجعله أساسا للحكم الناجح، ويقول في ذلك القرآن المجيد:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى:٣٩)

إن الأمور العامة والقواعد الإدارية العامة يجب ألا تُقنّن بدون استشارة الرعية أو ممثليها، وبناء على هذه القاعدة اعتبر الرسول ﷺ أن الشورى من أهم واجبات الخليفة. وقد رُوِيَ عنه أنه قال: لا خلافة بلا شورى. (إزالة الخفا عن

خلافة الخلفاء). إن الدولة التي تدار فيها شؤون الحكم بغير شورى لا تكون دولة إسلامية.

وفي المقابل من كل هذا، ماذا فعل المسيح ليكون "مشيرا"؟ لم يرد عنه أبدا أنه كان مشيرا على نطاق واسع، ولم يشجع مبدأ الشورى ويجعله قانونا واجب الاتّباع. وعلى هذا فإن الرسول ﷺ هو الذي كان بحق مشيرا وهو الذي تنطبق عليه نبوءة إشعياء.

الاسم الثالث الذي جاء في النبوءة هو "إلها قديرا". ويشير العهد القديم إلى مشابهة بين الله تعالى وموسى، حيث جاء في سفر الخروج:

"فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيّك" (الخروج ٧: ١)

وأيضا جاء ما يلي في سفر الخروج أيضا:

"وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلها: (الخروج ٤: ١٦)

والمقصود أن تكون بمثابة الإله في مزاولة السلطة التي خوّلها الله لك. وفي اصطلاح الكتاب المقدس، قيل عن موسى أنه إله، بينما قيل عن المسيح أنه ابن الله. وفي إطار هذا الاصطلاح، حينما يوصف النبي الموعود في نبوءة إشعياء بأنه سيكون "إلها قديرا"، فإن النبوءة تشير إلى نبي مثيل لموسى عليه السلام. وقد أشرنا فيما سبق إلى النبوءة التي قالها موسى نفسه في سفر التثنية ١٨:١٨ وذكر فيها مجيء نبي مثله. ولا يوجد أحد يمكن أن تنطبق عليه نبوءته هذه سوى رسول الإسلام ﷺ. وبمفهوم هذا الاصطلاح نجد أن الرسول ﷺ هو الذي يمكن أن يُدعى بحق إلها قديرا، أو بمعنى آخر، مظهرا لقدرة الله ومجده. وفي القرآن المجيد أيضا، هناك ما يشير إلى هذه الاصطلاحات. ففي غزوة بدر، تناول الرسول حفنة من الحصى ورماها في وجه الأعداء. وكانت هذه الرمية التي رماها الرسول ﷺ بمنزلة

إشارة لهبوب عاصفة رملية تعمل على إعاقة العدو وتساعد على تحقيق النصر للرسول ﷺ. وبهذا الخصوص يخاطب الله تعالى رسوله الكريم بهذه الكلمات:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ (الأنفال:١٨)

وكذلك أشار القرآن المجيد إلى عهد البيعة الذي يقطعه المؤمنون الجدد مع الرسول ﷺ عند دخولهم في الإسلام، فيقول تبارك وتعالى في القرآن المجيد:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ (الفتح:١١)

إن الرسول الأكرم ﷺ عبد الله ورسوله وخليفته على الأرض، فهو يمثل الله تبارك وتعالى في الأرض، ولذلك فإن وصف "إلها" في النبوءة يتحقق فيه تماما دون أي إنسان آخر. وكذلك ينطبق عليه أيضا صفة "قديرا"، لأنه هو الذي أخضع أعداءه جميعا في حياته وسحق كل معارضة قامت في وجه الإسلام.

الاسم الرابع المذكور في نبوءة إشعياء هو "أبا أبديا"، وهذا لا ينطبق إلا على الرسول ﷺ وليس من أحد غيره. فإنه هو وحده الذي أعلن بكل جلاء ووضوح، أبدية رسالته ودوام شريعته إلى يوم القيامة. وقد أنبأ بالمجيء الثاني للمسيح، ولكن هذا المجيء الثاني يتم في شخص واحد من أتباع الرسول ﷺ، وليس مجيء أحد يناقض أبوّته الروحية الدائمة،

وإلى هذه الأبوة يشير القرآن المجيد:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إلا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَّلا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ (سبأ:٢٩-٣١).

إن اصطلاح ﴿كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ يشير بجلاء إلى الصبغة العالمية والأبدية لرسالة الإسلام. فهي للعالمين كافة في كل زمان وكل مكان. وقد كان الكفار يسخرون من الرسول الأعظم ﷺ ويقولون متى يتحقق ذلك الوعد المذكور هنا، أي متى يأتي ذلك اليوم الذي تتجلي فيه للعالم الصبغة العالمية والأبدية للإسلام؟

فيقول الله تعالى إجابة على هذا السؤال أن هذا اليوم سوف يأتي حتما كما قدّره الله تعالى، وقد أشارت إليه الآية التالية:

﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة:٦)

أما الأمر الذي يُدبره الله من السماء إلى الأرض، فهو الإسلام. ثم مع مرور الزمن يبدأ نفوذه وسلطانه في الاضمحلال، وفي خلال ألف عام سوف يرتفع مرة أخرى إلى السماء، وسوف يزول ذلك التأييد الإلهي الخاص الذي تمتّع به المسلمون في أوّل الدعوة ويُترك مصيرهم للقوى الطبيعية في العالم. ويبدو من القرآن الكريم ومن الأحاديث الشريفة أن الله تعالى قدّر للإسلام أن يواصل انتشاره لمدة ثلاثة قرون، وبعدها تبدأ فترة الاضمحلال التي سوف تستمر لمدة ألف سنة. وحين قراءة الآيات السابقة من سورة سبأ (٢٩-٣٢) ، والآية التي من سورة السجدة (٦)، يتّضح جليًا أن الناس سوف يظلون لزمن طويل على غير قناعة بأبدية الإسلام، وأن انعدام تلك القناعة سوف يعمّ العالم بأجمعه، بالنظر إلى فترة الاضمحلال الطويلة التي ستغرب فيها شمس الإسلام. ولكن، بعد مرور فترة ألف وثلاثمئة سنة سوف تبرز حقائق وظروف جديدة تؤدي إلى زوال الشك من قلوب الناس. فإن الآيات المذكورة تشير إلى موعد المجيء الثاني للمسيح، ذلك الذي وُعِد بمجيئه في القرآن والحديث، وتُذكّرنا هذه الآيات بأن هذا المجيء الثاني سوف يتحقق في شخص واحد من أتباع رسول الإسلام ﷺ. وحيث إن مجيء ذلك المسيح الموعود قد سبق أن تنبأ به الأنبياء الآخرون أيضا، فإن بعثته من بين أتباع الرسول ﷺ سوف تكون دليلا حاسما على أن المقام المميّز والدرجة الروحية السامية للرسول ﷺ باقية على الدوام، وما من مبعوث سماوي يأتي في العالم إلا ويكون من أتباعه وخدامه. أما الشريعة الإسلامية والسُنّة النبوية فسوف تظل كما هي، ولن يحل محلها كتاب آخر أو شريعة أخرى. وبالإضافة، ففي زمن المسيح الموعود، سوف تُوجّه أهمية كبرى، وتركيز مثابر، إلى واجبات

الدعوة والإرشاد إلى الدين، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى انتشار الإسلام في العالم بأجمعه. وعندما يحدث هذا سوف تتحقق الصبغة العالمية للإسلام، وتظهر صفة الدوام والأبدية التي يتميز بها بما لا يدع مجالا للشك. وعلى هذا فإن الأب الأبدي الذي جاء ذكره في نبوءة إشعياء هو نبي الإسلام ﷺ وليس من أحد سواه.

الاسم الخامس الذي جاء في النبوءة هو "رئيس السلام". وكلمة "رئيس" تعني أيضا "ملك"، وبالتالي يمكن اعتبار الاسم يعني "ملك السلام"، وعلى هذا فلا يمكن أن ينطبق هذا الوصف إلا على رسول الإسلام ﷺ. إن الدين الذي أتى به من عند الله هو "الإسلام" وهو يعني أيضا "السلام".

ولا نعرف بأي معنى يمكن أن يُدعى المسيح "رئيس السلام". إن إحدى معاني هذا الاسم هي أن الشخص الذي يوصف به لا بد أن يكون له نصيب وافر من صفة السلام، كما ينبغي أن تنطوي طبيعته وفطرته على السلام، وأن تكون لديه القدرة على أن يمنح الآخرين السلام. وليس هناك من دليل على أن هذا كان حال المسيح عليه السلام. فلم تكن لدية الفرصة لتقلد منصب ذي سلطة فيستطيع أن يحكم بالعفو على أعدائه. صحيح أنه علم أتباعه الصفح والغفران وإدارة الخدِّ الآخر، ولكن هناك فرق كبير بين التعليم والممارسة. وما هو مهم وله قيمة حقيقية هي الممارسة. أما الممارسة فلدينا منها الكثير من الأدلة في شخص الرسول الأكرم ﷺ. فكم عانى من قسوة قومه، ولم تكن هناك من أعمال بربرية أو أفعال وحشية لم ترتكب في حقه وضد أتباعه. وقد قُتل الكثير من أعز أقاربه وأقرب صحابته إليه شر قتلة بغير رحمة أو شفقة. وقد كان شخص الرسول نفسه موضعا لممارسة هذه البربرية والقسوة البالغة. فقد كان هدفا لهم في الكثير من المناسبات والأحيان، وبمختلف الوسائل والأساليب. وقد اضطر أن يترك بلدته ويخرج مهاجرا ليلجأ إلى بلدة أخرى، كما اضطر إلى ذلك أيضا صحابته وأتباعه. وتكبّدوا جميعا آلام الغربة والبعد عن الأهل والأصحاب. ومُزِّقت

أجساد بعضهم أشلاء بأن قُيّدت أطرافهم في جملين يعدوان في اتجاهين مختلفين. وقُتلت بعض النساء بطعنة حربة في فروجهن. أما العبيد الذين آمنوا به فقد نُزعت عنهم ثيابهم وسُحلوا جرّا على الحصى والرمال المحرقة، وكان الغرض من كل أهوال التعذيب التي تعرّضوا لها وعانوا منها، هو أن يتنكروا لعقيدتهم ويتخلوا عن إيمانهم. وتعرضت أجساد أولئك الذين قتلوا في المعارك إلى التمثيل بها وتشويهها. وباختصار، لقد عانى المسلمون جميعا، رجالا ونساء، كبارا وصغارا، أحرارا وعبيدا، أحياء وأمواتا، أسوأ أنواع التعذيب والمعاناة والتشويه بشكل لم يتحمله أحد في تاريخ الأديان. ولكن في النهاية، كتب الله لهم النصر، وسار الرسول ﷺ على رأس عشرة آلاف من هؤلاء الأبرار ليدخل مكة منتصرا، وأصبح أولئك الأعداء تحت قدميه وهم على يقين بأن العقاب ينتظرهم على ما اقترفت أيديهم من ظلم وقتل وتعذيب. ومع ذلك فإن الرسول ﷺ قال لهم: "لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء" (سيرة ابن هشام). لقد أصبح يملك القدرة لأن يعاقب، وأن ينتقم لكل الفظائع التي ارتُكبت في حقه وحق أتباعه. ولكنه اختار أن يعفو، وأن يسامح، وأن يمتنع حتى عن أيّ عتاب قد يكون فيه إيذاء لمشاعرهم. وقد حدث عندما كان جيش المسلمين يتقدّم نحو مكة، أن قال أحد القادة، وكان سعد بن عبادة، "يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة"، يقصد أن يوم الانتقام لكل المظالم قد جاء (البخاري). ولم يكن من الرسول ﷺ إلا أن عزل ذلك القائد قائلا إن مثل هذه الأقوال تجرح مشاعر أهل مكة. فهل رأينا مثل هذه المواقف في حياة المسيح؟ أو في حياة تلاميذه؟ أو حتى في تاريخ المسيحية بأكمله؟ لاشك أن المسيحيين الأوائل عانوا الكثير من المصاعب والاضطهاد، وكانوا ضعفاء لا حول لهم ولا قوة. ولكن جاء الوقت الذي تولوا فيه زمام السلطة والقوة، فكيف كان تعاملهم مع أعدائهم؟ ألم يصطبغ التاريخ باللون الأحمر بسبب دماء أعدائهم التي سفكها المسيحيون؟ فكيف يمكن أن يوصف المسيح بصفة رئيس السلام؟ إنه هو نفسه لم يكن يملك من القوة ما

يستطيع به أن يمنح الآخرين أي سلام، ولكن أتباعه ملكوا القوة، ولكنهم لم يعطوا للعالم أي سلام، بل نشروا فيه الدمار والموت والخراب. أمّا رسول الإسلام ﷺ فقد ملك القدرة على أن يبطش بأعدائه وينْزل بهم العقاب، على ما جنت أيديهم من ظلم وقسوة ووحشية، تزيد عدة مرات عما اقترف اليهود في حق المسيح، ومع ذلك فقد اختار الرسول ﷺ أن يغفر ويعفو عن أولئك الأعداء، ولذلك فهو أمير السلام الذي أشارت إليه نبوءة إشعياء.

العلامة السابعة للشخص الموعود في نبوءة إشعياء هي: "لنموِّ رياسته وللسلام لا نهاية". وتنطبق هذه العلامة على نبي الإسلام ﷺ وليس على المسيح عليه السلام. فالمسيح لم تكن له أية سلطة سياسية، بينما ملك الرسول الأعظم ﷺ وأتباعه زمام السلطة في العالم المعروف حينئذ، وحكموا أعظم دولة في العالم بصورة لم يكن لها مثيل من الحق والبر والعدل.

العلامة الثامنة هي:

"على كرسي داود وعلى مملكته ليثبّتها ويعضُدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد". (٩: ٧)

فهل جلس المسيح على كرسي داود وملك زمام مملكته؟ ربما يكون أتباعه قد حققوا ذلك بعد ثلاثمئة سنة عندما دخل الإمبراطور الروماني قسطنطين في المسيحية، ولكن النبوءة تقول إن الحكم على عرش داود سوف يستمر إلى الأبد، غير أن الحكم المسيحي لفلسطين استمر لمدة ثلاثمئة سنة إلى أن انتهى بظهور الإسلام. وظلت فلسطين، أي مملكة داود، تحت حكم المسلمين لمدة ألف وثلاثمئة سنة. فأيهما أقرب إلى اصطلاح "الأبد" المذكور في النبوءة، ثلاثمئة سنة، أم ألف وثلاثمئة سنة؟ صحيح أن اليوم تتحكّم في فلسطين قوة مسيحية*. غير

* نذكّر القارئ أن هذه المقدمة نُشرت عام ١٩٤٧ عندما كان فلسطين تحت الانتداب البريطاني. (الناشر)

أنه من منظورنا نرى أن الانتداب البريطاني على فلسطين أمر مؤقت ولا يمكن أن يُشكّل تعارضا مع تحقق النبوءة.

إن الحكم الذي أسسه الرسول ﷺ في العالم من خلال أتباعه كان حكما يقوم على العدل والقسط، ولدينا شواهد من التاريخ على أن الحكم الإسلامي كان، كما تقول النبوءة، بالحق والبر. ففي زمن الخليفة الثاني "عمر بن الخطّاب" ﷺ اضطرت بعض الجيوش الإسلامية إلى الانسحاب مؤقتا من بعض المناطق، تحت ضغط الجيوش الرومانية التي كانت متفوّقة في العدد والعتاد، وقبل الانسحاب جمعوا الأهالي وأخبروهم أنهم غير قادرين على حماية أرواحهم وممتلكاتهم، وأنهم سوف يضطرّون مؤقتا للانسحاب؛ وعلى ذلك فإنهم يُعيدون إليهم أموال الجزية التي جمعوها منهم كضريبة للدفاع عنهم. وقد تأثر سكان القدس المسيحيون كثيرا بهذا العمل الكريم وهذا التصرّف الذي يقوم على الحق والبر والعدل، حتى إنهم خرجوا يودّعون جيش المسلمين وهم يبكون، ويدعون الله أن يهيئ للمسلمين عودة سريعة (فتوح البلدان)◈. ولا عجب أن قال إشعياء عن النبي الموعود:

"على كرسي داود وعلى مملكته ليثبّتها ويعضُدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد". (٩: ٧)

◈ نورد هذه الواقعة كما جاءت في "فتوح البلدان" ص١٤٣: "حدّثنا سعيد بن عبد العزيز، قال: بلغني أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لواقعة اليرموك، ردّوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا: قد شُغِلنا عن نصرتكم والدفع عنكم، فأنتم على أمركم. فقال أهل حمص: لَولايتُكم وعدلُكم أحبُّ إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم. ونهض اليهود فقالوا، والتوراةِ، لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نُغلب ونُجهد، فأغلقوا الأبواب وحرسوها، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود، وقالوا: إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه وإلا فإنا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد". (الناشر)

(هـ) ومن سفر إشعياء نقرأ أيضا في ١٩: ٢١-٢٥ ما يلي:

"فيُعرف الرب في مصر ويعرِف المصريون الرب في ذلك اليوم، ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذرا ويوفون به. ويضرب الرب مصر ضاربا فشافيا فيرجعون إلى الرب فيستجيب لهم ويشفيهم. في ذلك اليوم تكون سكّة من مصر إلى أشور، ويعبد المصريون مع الأشوريين. في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثلثا لمصر ولأشور بركة في الأرض. بها يبارك رب الجنود قائل مبارك شعبي مصر وعمل يديّ أشور وميراثي إسرائيل".

تذكر النبوءة أن زمنا سوف يأتي عندما يتجلى الله تعالى لأهل مصر، فيعرفون الله تبارك وتعالى بسبب هذا التجلي، فيقدّمون له التضحيات والذبائح، وتتحد فيه مصر مع بلاد الشام، ويزور سكان كل من البلدين البلد الآخر، ويشترك كل من البلدين في عبادة واحدة.

وقد تحققت هذه النبوءة في شخص الرسول ﷺ. لقد اعتنق أهل مصر الديانة المسيحية، ولكن لفترة قصيرة من تاريخهم. والآن، بعد مرور ألف وثلاثمئة سنة لا يزال المصريون والشاميون يعتنقون الإسلام ويعبدون عبادة واحدة. وفي كلمات إشعياء، يقول الله تعالى للمصريين: "مبارك شعبي مصر". وليتكلم أهل مصر عن أنفسهم، هل تبعيّتهم اليوم للمسيح أم لمحمد ﷺ؟

ثم تقول النبوءة: "وعملُ يديَّ أشورُ"✪. وبالمثل فلندَع الشاميين ليتكلموا عن

---

✪ إن آشور التاريخية هي مملكة نشأت في شمال العراق وجزء من الجنوب الشرقي لتركيا الحالية وكانت عاصمتها نينوى. ولكن هذه الدولة قد شهدت امتدادا إلى الجزء الشمالي من بلاد الشام وأحيانا إلى كل بلاد الشام والعراق تقريبا. ومع أن الآشورية كقومية قد زالت من الوجود إلا أن بعض المسيحيين العرب في العراق وبلاد الشام يصرون على أنهم ينتمون إلى هذا الشعب، ولهم كنيسة آشورية متواجدة في العراق وسوريا ولبنان. ومن المعروف أن الطائفة المسيحية السريانية هي طائفة منحدرة من الكنيسة الآشورية أيضا إلا أن انفصالهما كان لأسباب عقائدية لا عرقية، وهي فئة آشورية من حيث العرق كما يدعي الآشوريون. وعلى كل حال، فبما أن النبوءات

أنفسهم. هل كان عمل الله فيهم وهدايتهم عن طريق المسيحية أم عن طريق الإسلام؟

وتقول النبوءة: "وميراثي إسرائيل". فلِمَنْ أورث الله تعالى أرض إسرائيل، ومن الذي يقيم فيها اليوم؟

لا شك أن النفوذ الأوروبي والأمريكي يعمل على تشجيع اليهود على الإقامة في فلسطين، ولكن اليهود ليسوا أتباع يسوع المسيح. وعلى أية حال، لا زال المسلمون يشكلون أغلبية السكان في فلسطين، ولا يزال المسيحيون أقلية قليلة. وإذا حدث أن استولى اليهود على الأرض، فسوف يكون ذلك لمدة وجيزة فقط، وسواء بقيت في أيدي المسلمين أو استولى عليها اليهود، فليس للمسيح أي نصيب في النبوءة.

وتذكر النبوءة "في ذلك اليوم تكون سكّة من مصر إلى أشور"، أي أن هناك علامة على حدوث الاتصال بين البلدين. وتُصوّر النبوءة سكان البلدين بأنهم يتزاورون فيما بينهم ويشترك بعضهم مع بعض في أسلوب العبادة. فمن الذي حقق كل هذا؟ هل كان المسيح؟ كان للمسيحيين في حين من الأحيان السلطة في كل من مصر وبلاد الشام، وكان أغلبية السكان في هذين البلدين من المسيحيين، ولكن، هل تحققت في ذلك الحين الظروف التي تتكلم عنها النبوءة؟ إن النبوءة تذكر أن العلاقات بين البلدين سوف تتوطّد وتتقارب ويصبح البلَدان كشعب واحد، له لغة واحدة، وعقيدة وعبادات واحدة، ليس مجرّد الشيء العادي والمألوف من العلاقات الطيّبة بين بلدين متجاورين، بل إنها تصف علاقات خاصة، فوق العادية، تنجم فقط عن اندماج الشعبين وانصهارهما في قومية واحدة. وهذا لم يحدث أبدا في العهد المسيحي. وتحت الحكم الروماني، كانت مصر والشام جزءا من نفس الإمبراطورية، ولكن نظام الحكم في كل من

كانت في الفترة التي كان النفوذ الآشوري ممتدا إلى بلاد الشام فما المقصود بذلك إلا البلاد التي كانت خاضعة للنفوذ الآشوري وهي العراق وبلاد الشام. (الناشر)

البلدين ظل مختلفا، فكانت مصر مملكة شبه مستقلة، بينما وقعت الشام وفلسطين تحت الحكم الروماني المباشر، والكنيسة المصرية اختلفت أيضا عن الكنيسة السورية، أو السوريانية. ففي مصر، تحت تأثير كنيسة الإسكندرية، اتخذت المسيحية فيها شكلا يختلف عن المسيحية في فلسطين وسوريا. وكان المصريون يمارسون عبادتهم في لغتهم الخاصة القبطية، بينما مارس المسيحيون في الشام وفلسطين شعائرهم في خليط مضطرب من العبرية واليونانية. ولكن بمقدم الإسلام تغيرت الظروف تماما، وظلت مصر والشام لقرون طويلة تحت حكم واحد، وأخذ كل منهم يتكلم اللغة العربية ولا زالوا يتكلمون بها، وكل منهم يمارس نفس شعائر العبادة، وكل منهم يشترك مع الآخر في الحس والضمير. كان العلماء الشاميون يذهبون إلى مصر وينالون هناك الإكرام والتقدير، كما كان العلماء المصريون ينتقلون إلى الشام ويُقابَلون هناك بالإعزاز والتكريم. وحتى اليوم، رغم أن العالم الإسلامي قد صار مقطع الأوصال بتأثير الدبلوماسية الأوروبية، فإن جامعة الدول العربية توحّد بين المصريين والشاميين والفلسطينيين، ويبدو أن الشعوب في تلك الدول تفخر بقوميتها العربية المشتركة. وعلى هذا، فإن نبوءة إشعياء قد تحققت في رسول الله ﷺ وفي أتباعه. وإنه لمن المبالغة والهراء أن يُنسب تحقق هذه النبوءة إلى المسيح عليه السلام وإلى الكنيسة المسيحية.

(و) ونجد أيضا في إشعياء ٦٢: ٢ ما يلي:

"فترى الأمم بِرّك وكل الملوك مجدك وتُسمّين باسم جديد يعيّنه فم الرب".

ومن الواضح أن النبوءة تذكر نبأ حركة عقائدية جديدة، تحمل اسما جديدا، لا يقترحه البشر، وإنما يتنَزّل من لدن الله تعالى في كلمات الوحي. وينسب شُرّاح الكتاب المقدس هذه النبوءة إلى الكنيسة المسيحية، متجاهلين الحقيقة المعروفة وهي أن كلمة "مسيحي" و "المسيحية"، أو الأسماء الكثيرة المتعددة التي

تُعرف بها الفرق المسيحية، لم تكن أبدا من وحي الله تعالى، وإنما كانت من اختيار الناس. إن هناك قوما واحدا في العالم هو الذي سمّاه الله تعالى باسمه، وجاء هذا الاسم في كلمات الوحي من لدنه تعالى، إذ يقول الكتاب العزيز:

﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ (الحج:٧٩)

وهذه إشارة واضحة إلى نبوءة إشعياء. وكأن الآية القرآنية تقول: "لقد سبق النبأ بأن تسميتكم لن تكون من اختياركم، بل إن الله سيختارها لكم، وعلى ذلك فقد سماكم المسلمين". والاسم مشتق من "السلام"، الأمر الذي يتفق مع لقب النبي الموعود "رئيس السلام". إن النبوءة عجيبة ومدهشة حقا، ومن العجيب أيضا أنه لا يوجد أتباع ديانة تلقوا اسمهم من الله تعالى، ومن كلمات الوحي التي أنزلها، غير المسلمين وحدهم. لقد تنبأ إشعياء عن مَقْدم نبي يختار الله بنفسه اسم أتباعه، وأنه سوف يعلن هذا الاسم في الوحي الذي يتنَزّل من لدنه. ورسول الإسلام ﷺ هو ذلك النبي، وأتباعه هم الذين سماهم الله المسلمين، ودينه هو الذي سماه الله تعالى باسم الإسلام.

## نبوءات دانيال

رأى الملك نبوخذنصّر ملك بابل، حسب ما جاء في الإصحاح الثاني من سفر دانيال، رؤيا عجيبة سرعان ما نسيها. فجمع حكماء مملكته وطلب منهم أن يخبروه بالحلم وأن يخبروه أيضا عن تأويله. ولم يستطع أحد منهم أن يفعل ذلك. وأما دانيال النبي، فقد دعا الله تعالى، فأخبره الله بالحلم وأخبره أيضا بمعناه. وكان الحلم كما يلي:

"أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم، هذا التمثال العظيم البهي جدا وقف قبالتك ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب جيّد، صدره وذراعاه من فضّة، بطنه وفخذاه من نحاس. ساقاه من حديد، قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. كنتَ تنظر إلى أن قُطِع حجر بغير

يدين، فضرب التمثال على قدميه اللتيْن من حديد وخـزف فـسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا، وصـارت كعصافة البيْدر في الصيف، فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان، أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملأ الأرض كلّهـا" (دانيـال ٢: ٣١-٣٥).

وكان التعبير الذي فصّله دانيال للملك كما يلي:

"أنت أيها الملك ملك الملوك لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتـدارا وسلطانا وفخرا. وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيـور الـسماء دفعها ليدك وسلّطك عليها جميعها، فأنت هذا الرأس من ذهب. وبعـدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلّط علـى كل الأرض. وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد، لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء، وكالحديد الذي يكسّر تسحق وتكسّر كل هؤلاء. وبما رأيـت القدمين والأصابع، بعضها من خزف والبعض من حديد، فالمملكة تكـون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين. وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خـزف، فـبعض المملكة يكون قويا والبعض قصمًا. وبما رأيت الحديد مختلطا بخزف الطـين فإنهم يختلطون بنسل الناس، ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يختلط بالخزف. وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبدا ومُلكها لا يُترك لشعب آخر وتسحق وتُفني كل هذه الممالك وهـي تثبت إلى الأبد. لأنك رأيت أنه قد قُطع حجر من جبل لا بيدين فـسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب، الله العظيم قد عرّف الملك ما سيأتي بعد هذا، الحلم حق وتعبيره يقين" (دانيال ٢: ٣٧-٤٥).

وحسب تعبير دانيال للرؤيا، كانت الرأس الذهبية للتمثال ترمز لملك بابـل، وكان الصدر والذراعان من الفضة يرمز إلى مملكة مادي وفارس التي قامت بعد

مملكة بابل. أما الساقان اللتان من نحاس فكانا يرمزان إلى الإمبراطورية اليونانية تحت حكم الإسكندر الأكبر التي قامت بعد مملكة مادي وفارس. وكانت الأرجل الحديدية ترمز للإمبراطورية الرومانية التي علا نفوذها وقوتها بعد أن اضمحلت الإمبراطورية اليونانية. وعن هذه الإمبراطورية الأخيرة تقول الرؤيا: "قدماه (أي قدما التمثال) بعضهما من حديد والبعض من خزف" (دانيال ٢: ٣٣).

ويشير هذا الوصف إلى حقيقة أن الإمبراطورية الرومانية سوف تشمل أجزاء من أوروبا ومن آسيا أيضا. والرجْلان الحديديتان ترمزان إلى الجزء الأوروبي من الإمبراطورية الرومانية، وتشير إلى القوة وإلى القومية الواحدة والدين الواحد، ولكن الأقدام كما جاء في الحلم، كان بعضهما من حديد وبعضهما من خزف. وهذا يعني أن القوة الأوروبية سوف تخضع بعض الأجزاء من آسيا، وبذلك فإنها سوف تصير قوة إمبراطورية. والقوى الإمبراطورية تتحكم في مناطق شاسعة وثروات كبيرة، ولكنها تعاني أيضا من الشغب الداخلي الذي يأتي بسبب عدم التلاحم والتجانس بين الشعوب التي تحت إمرتها. ومن الواضح أن الحلم يعني أن الإمبراطورية الرومانية سوف تأخذ في الاضمحلال في آخر الزمان بسبب عدم التجانس هذا. ويمضي الحلم فيخبرنا عن أشياء على جانب كبير من الأهمية:

"كنت تنظر إلى أن قُطِع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب وصارت كعصافة البيدر في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان، أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملأ الأرض كلّها" (دانيال ٢: ٣٤-٣٥).

هنا نبوءة واضحة عن ظهور الإسلام. فإن الإسلام في أيامه الأولى اصطدم بالإمبراطورية الرومانية ثم بالإمبراطورية الفارسية. وحين اصطدم المسلمون بالرومان، كانت روما قد هزمت الإمبراطورية اليونانية التي أنشأها الإسكندر

المقدوني، وصارت أقوى من ذي قبل. وحين اصطدم المسلمون بالفرس كانت الإمبراطورية الفارسية قد امتدت واستولت على ممتلكات الإمبراطورية البابلية. وحين هزم المسلمون كلا من الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية، تحققت النبوءة فانكسر الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب كلهم بعضهم مع البعض، وصارت كل هذه الممالك كعصافة البيدر التي بددتها ريح الصيف. إن تتابع الأحداث في الحلم، والتعبير الذي قدّمه دانيال لتلك الأحداث، لا يترك مجالا للشك في معناها ومدلولاتها.

إنها من الحقائق المعلومة للداني والقاصي أن الإمبراطورية البابلية قد خضعت لإمبراطورية مادي وفارس، وأن الإسكندر المقدوني قد حطم قوة مادي وفارس، ثم حلّت الإمبراطورية الرومانية محل الإمبراطورية اليونانية، ومن المركز الشرقي للإمبراطورية في القسطنطينية، قامت إمبراطورية قوية على أجزاء من أوروبا وآسيا. وقد هُزمت هذه الإمبراطورية الآسيوية ودُمّرت على أيدي الرسول ﷺ وصحابته الكرام. وقد حدث مرة أنه تلقى بعض الأنباء عن عزم القوات الرومانية بالهجوم على المسلمين، فقاد بنفسه غزوة خرج فيها إلى حدود بلاد الشام، ولكن لم يقع أي قتال في تلك المرة. وظلت المناوشات قائمة بين حين وآخر إلى أن استؤنفت المعارك مرة أخرى في عهد الخليفة أبي بكر ﷺ، وقد أدّت هذه المصادمات في عهد عمر بن الخطاب ﷺ إلى تقطيع أوصال الإمبراطورية واندحارها الكامل، كما هُزمت أيضا الإمبراطورية الفارسية أمام الجيوش الإسلامية. وهكذا تقلصت هاتان الإمبراطوريتان إلى دويلات صغيرة، بعد أن كانتا من زمن قريب تُعتبران القوى العظمى في العالم.

ونجد إشارة إلى "الحجر" الذي جاء في نبوءة دانيال في سفر إشعياء وفي إنجيل متى. ففي إشعياء ٨: ١٤ نقرأ عن الشخص المقدس:

"ويكون مقدسا وحجر صدمة وصخرة عثرة لبيتيْ إسرائيل وفخّا وشرَكا لسكان أورشليم".

ونقرأ في الفقرة التالية ٨: ١٥ ما يلي:

"فيعثر بها كثيرون ويسقطون فينكسرون ويعْلقون فيُلقطون".

ومن إنجيل متّى في الإصحاح ٢١ يظهر أن النبي الموعود – أي الحجر المذكور في النبوءة – ليس هو المسيح عليه السلام، ولكنه شخص آخر يأتي بعد المسيح، وفي ٢١: ٤٤ نجد وصفا جميلا للحجر كما يلي:

"ومن سقط على هذا الحجر يترضّض، ومن سقط هو عليه يسحقه".

ونجد في المزامير ١١٨: ٢٢ أيضا ما يلي:

"الحجر الذي رفضه البنّاءون قد صار رأس الزاوية".

ونقرأ في إنجيل متّى إشارة إلى هذا الحجر الذي صار رأس الزاوية في ٢١: ٤٢ كما يلي:

"قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البنّاءون هو قد صار رأس الزاوية، من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا".

لقد ذكرنا فيما سبق أن المسيح عليه السلام نفسه قد رفض أن هذه النبوءة تتعلق به، إذ أنها تتعلق بشخص سوف يأتي من بعد مقتل الابن. ويولع المسيحيون اليوم بمحاولة تطبيق هذه النبوءة على الكنيسة المسيحية، ولكن هذا لن يجديهم شيئا. فحسب النبوءة التي جاءت في سفر دانيال، كان بطن التمثال وفخذاه من النحاس، والأرجل من الحديد (أي الإمبراطورية الرومانية)، وقدماه من الحديد والخزف، وقد ضرب الحجر التمثال على أقدامه. ويعني هذا أن الإسلام في أيامه الأولى سوف يصطدم بالأجزاء الأسيوية من الإمبراطورية الرومانية ويحطمها. لقد كانت الإمبراطورية الرومانية هي الممثل الدنيوي للكنيسة المسيحية، وعلى هذا فقد كان مقدّرا أن يصطدم الحجر بالكنيسة. ولذلك لا يمكن أن يكون الحجر هو الكنيسة نفسها، فإن الكنيسة لا تصطدم بنفسها. كذلك لا يكون المسيح هو ذلك الحجر، فإن المسيح جاء قبل زمان طويل من وجود الإمبراطورية

الرومانية الشرقية. إن من حطّم قوة هذه الإمبراطورية الرومانية هو الذي حقق هذه النبوءة. وعلى هذا تنطبق النبوءة على رسول الإسلام ﷺ وعلى أتباعه، وليس على أحد آخر.

وتقول النبوءة بعد ذلك:

"أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملأ الأرض كلها" (دانيال ٢: ٣٥)

وهذا هو ما حدث تماما. لقد هزم الرسول ﷺ وصحابته الكرام قيصر وكسرى، وأصبح المسلمون هم حكام معظم العالم المعروف في ذلك الوقت، وظلت زمام الأمور في العالم في يد المسلمين لمدة ألف سنة، يملون سياسة العالم ويوجهّون دفّتها.

## نبوءات العهد الجديد

نتحوّل الآن إلى النبوءات التي جاءت في العهد الجديد عن نبي الإسلام ﷺ.

(أ) ففي متّى ٢١: ٣٣-٤٦ نقرأ ما يلي:

"اسمعوا مثلا آخر، كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى كرّامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرّامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرّامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا. ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك. فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا يهابون ابني. وأما الكرّامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرّامين. قالوا له أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديّا ويسلم الكرم إلى كرّامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب، الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار

رأس الزاوية، من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنْزع منكم ويُعطَى لأمّة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضّض ومن سقط هو عليه يسحقه. ولما سمع رؤساء الكهنة والفرّيسيّون أمثاله، عرفوا أنه تكلم عليهم. وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي".

لقد أشرنا إلى بعض أجزاء من هذه النبوءة من قبل. ففي هذا المثال الجميل قدّم لنا المسيح ملخصا تصويريا لتاريخ الأنبياء. ولا يترك السياق التمثيلي في هذا المقطع مجالا للشك في أن العالم الدنيوي هو الكرْم؛ وأن الكرّامين هم بنو البشر على وجه العموم؛ والأثمار التي يريد المالك أن يجمعها هي الفضيلة والتقوى والإخلاص لله تعالى؛ وأما العبيد فهم الأنبياء الذين كانوا يأتون إلى العالم واحدا تلو الآخر؛ والابن هو المسيح الذي جاء بعد سلسلة طويلة من الأنبياء. ولقد أهين الابن وقتله الكرّامون. وبعد أن قال السيد المسيح هذا، انتقل إلى ذكر "الحجر الذي رفضه البنّاءون، فهو نفسه الذي صار رأس الزاوية". والحجر الذي رفضه البناءون هو ذرّية إسماعيل، وقد درج أبناء إسحاق على معاملة ذرية إسماعيل باحتقار واستعلاء. وحسب ما جاء في هذه النبوءة، فإن واحدا من ذرّيّة إسماعيل كان من المقدّر له أن يصبح رأس الزاوية، أو ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ كما يقول عنه القرآن المجيد، فهو ليس نبيا كالأنبياء العاديين الذين عرفتهم الدنيا، وإنما كان هو الذي يحمل الشريعة الكاملة إلى العالم بأجمعه. وكان مجيء أحد أبناء إسماعيل لهذا المقام العظيم يبدو غريبا أيضا. ومع ذلك، فكما قال المسيح، لقد أخذ الله مملكته من بني إسرائيل وأعطاها إلى بني إسماعيل، الذين ثبت أنهم أمّة تعطي الثمرات الطيبة، أي أنهم أمّة تنشر عبادة الله تعالى في الأرض وتبقي عقيدة الوحدانية حية. وإنه لأمر واضح للعيان أن النبي البارز الوحيد ذي المكانة العالية، الذي جاء بعد السيد المسيح، والذي تنطبق عليه هذه الأوصاف هو رسول الإسلام ﷺ. إنه هو النبي الوحيد الذي اصطدم به كل من اليهود والمسيحيين،

وكان نتيجة عدوانهم عليه أن تبدّد نفوذ كل من الفريقين. لقد كان هو الـــذي كان من ذرية إسماعيل التي نبذها بنو إسرائيل. وفي شخصه وحده تحقق ما جاء في النبوءة: "من سقط عليه يترضّض ومن سقط هو عليه يسحقه".

(ب) وفي متّى ٢٣: ٣٨-٣٩ نقرأ ما يلي:

"هو ذا بيتكم يُترك لكم خرابا. لأني أقول لكم إنكم لا تروني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب".

ويعني هذا المقطع أن المسيح سوف يفارق قومه، ولن يستطيع قومه أن يروه مرة أخرى إلى أن يقولوا: "مبارك الآتي باسم الرب".

وهنا نجد نبوءتين عن مجيء شخصين، المجيء الأول بعد المسيح، وهذا المجيء كأنه مجيء الله تعالى. والمجيء الآخر هو مجيء المسيح الثاني. وقد أوضح الـــسيد المسيح أنه ما لم يأت "الآتي باسم الرب"، فإن المجيء الثاني للمسيح لن يتحقـــق. وقد بيّنّا فيما سبق أن ذلك الذي يأتي باسم الرب هو من يماثل موسى عليه السلام.

إن نبوءة المسيح وحقيقة مجيء الإسلام ورسوله الكريم ﷺ لا يتـــرك مجـــالا للشك في أنه في التقدير الإلهي لم يكن مجيء المسيح الأول يشكل المرحلة العظمى الأخيرة من مراحل التقدم الروحي. إن هذه المرحلة الأخيرة تتميّز بمجيء "الآتي باسم الرب". ولا يصح القول بأنه ما دام من المقدّر أن يأتي المسيح مرة أخرى، فإن مجيئه هو الذي سيشكل المرحلة الأخيرة من التقدم الروحـــي، وذلـــك لأن المسيح عليه السلام نفسه قد أوضح حقيقة الأمر، حيث قال:

"إنكم لا تروني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب" (متّى ٢٣: ٣٩)

أي أن الذين يستطيعون أن يروا صدق المسيح ويتعرّفوا عليه في مجيئه الثـــاني، هم أولئك الذين قبلوا وآمنوا بمن جاء مثيلا لموسى عليه السلام. إن من ينكر "مثيـــل موسى" لن يستطيع أن يتعرّف على المسيح عندما يأتي للمرة الثانية، لأن ذلـــك

المجيء الثاني للمسيح عليه السلام سوف يتحقق في واحد من أتباع "مثيل موسى". لذلك فلن يؤمن بالمسيح في عودته الثانية إلا أولئك الذين آمنوا أولا "بمثيل موسى". وعلى هذا فإن المسيح في المجيء الثاني لن يكون نبيا مستقلا في تعاليمه، بل إنه سيكون تابعا بكل معنى الكلمة، وصورة طبق الأصل، "لمثيل موسى". وبهذا، تتم المرحلة الأخيرة من مراحل التقدم الروحي على يد ذلك "مثيل موسى"، وليس أحد آخر.

(ج) ونقرأ في إنجيل يوحنا ١: ٢٠-٢١ أن الناس ذهبوا إلى يوحنا المعمّدان ليسألوه عما إذا كان هو المسيح الموعود بمجيئه في النبوءات، فأجاب بالنفي. وهذا ما حدث:

"وهذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويّين ليسألوه من أنت. فاعترف ولم يُنكر وأقر إني لست أنا المسيح. فسألوه إذًا ماذا؟ إيليّا أنت؟ فقال لست أنا، النبي أنت؟ فأجاب لا. فقالوا له من أنت لنعطي جوابا للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك؟ قال أنا صوت صارخ في البريّة قوّموا طريق الرب .... فسألوه وقالوا له فما بالك تُعمّد إن كنت لست المسيح ولا إيليّا ولا النبي؟" (يوحنا ١: ١٩-٢٥)

ويتضح من هذا أن في الزمن الذي كان الناس يتوقعون ظهور المسيح، كان هناك ثلاث نبوءات شائعة بين الناس: (١) المجيء الثاني لإيليا؛ (٢) مجيء المسيح؛ (٣) مجيء "ذلك النبي"، أي النبي "مثيل موسى" الذي ذكرته نبوءة سفر التثنية ١٨:١٨. وهؤلاء الأفراد الثلاثة هم ثلاثة أشخاص يختلف كل منهم عن الآخر.

وقد أعلن المسيح بنفسه أن يوحنا المعمّدان حقق في نفسه المجيء الثاني لإيليا، إذ جاء في إنجيل يوحنا ١١: ١٤ قوله:

"وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليّا المزمع أن يأتي".

وأيضا يتبيّن من إنجيل لوقا (١: ١٧) أنه قبل مولد يوحنا، تلقى أبوه زكريا

الوحي التالي:

"ويتقدّم أمامه بروح إيليّا وقوّته"

وكذلك في إنجيل مرقس (٩: ١٣) نجد أن المسيح قد أعلن بنفسه عن يوحنا:

"لكن أقول لكم إن إيليّا أيضا قد أتى وعملوا به كل ما أرادوا"

وأيضا في إنجيل متّى يتحدث المسيح عن يوحنا في ١٧: ١٢ ويقول عنه ما يلي:

"ولكني أقول لكم إن إيليّا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا"

من كل هذه المقتطفات يتّضح جليّا حسب ما جاء في الأناجيل كلها أن المجيء الثاني لإيليّا النبي قد تحقق في شخص يوحنا. أما المسيح، فمن المتّفق عليه أنه لم يكن غير يسوع الذي ذكره العهد الجديد. وعلى هذا لم يبق غير "ذلك النبي". وهو ليس يوحنا ولا هو المسيح، لأنه يختلف عن كليهما، فهو الشخصية الثالثة المتوقع ظهورها. ومن المعروف أن "ذلك النبي" لم يكن قد ظهر بعد إلى زمن المسيح عليه السلام. وبعد المسيح لم يعلن أحد أنه "ذلك النبي" ولم يحقق أحد بالفعل الأوصاف التي جاءت في "ذلك النبي" إلا رسول الإسلام ﷺ.

(د) جاء في إنجيل لوقا ٢٤: ٤٩ ما يلي:

"وها أنا أرسل إليكم موعد أبي، فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تُلبسوا قوّة من الأعالي".

ويتبيّن من هذا أيضا أن بعد المسيح سوف يكون هناك آخر، ومن يكون هذا سوى الرسول ﷺ؟ ليس من أحد سواه أعلن أنه هو ذلك الشخص.

(هـ) ونقرأ في إنجيل يوحنا ١٤: ٢٦ ما يلي:

"وأمّا المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلّمكم كل شيء ويُذكّركم بكل ما قلته لكم"

وتنطبق أيضا هذه النبوءة على رسول الإسلام ﷺ. صحيح أنه قيل: "الـــذي سيرسله الآب باسمي"، ولكن كلمة "باسمي" لا يمكن أن تعني سوى "أنه سوف يشهد بصدقي". وقد شهد الرسول ﷺ بصدق المسيح عليه السلام باعتباره نبيا كريمـــا ومعلما عظيما، كما أعلن خطأ وضلال أولئك الذين قالوا بأنه كـــان ملعونـــا. كذلك تقول النبوءة بوضوح: "فهو يعلّمكم كل شيء". وتماثل هذه الكلمـــات نفس الكلمات التي جاءت في نبوءة سفر التثنية. وهذا الوصف يوافـــق فقـــط الرسول الأعظم، الذي كان المعزّي للعالم بحق، فإن تعاليمه هي التي جلبت الأمل والعزاء والراحة والاطمئنان إلى العالم أجمع.

(و) النبوءة الخامسة جاءت في إنجيل يوحنا ١٦: ٧-١٤ كما يلي:

"لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأنـــه إن لم أنطلـــق لا يأتيكم المعزّي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكّت العالم على خطيّة وعلى برّ وعلى دينونة. أمّا على خطيّة فلأنهم لا يؤمنـــون بي. وأما على برّ فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضا. وأمّا على دينونة فـــلأن رئيس هذا العالم قد دين.

إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تـــستطيعون أن تحتملـــوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنـــه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بـــأمور آتيـــة. ذاك يمجّدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم".

وتبيّن النبوءة أن المعزّي سوف يأتي بعد ذهاب المسيح. وعندما يأتي المعـــزّي سوف يُبكّت العالم على خطيّة، وعلى برّ، وعلى دينونة. أما الخطيّة فهـــي أنـــه يدين أولئك اليهود الذين رفضوا الإيمان بالمسيح عليه السلام. وأما البرّ، أي الـــصدق واتباع الحق، فلأنه سوف يصحح العقيدة الخاطئة عن موت المسيح وقيامته مـــن الأموات، ولأنه سوف يؤكّد للعالم أن المسيح الناصري، المعلم والنبي الذي جاء إلى بني إسرائيل، لن يأتي إلى العالم مرة أخرى بشخصه. وأما الدينونة، أي العدل

والقسط، لأنه سوف يضع نهاية لجميع القوى الشيطانية. وتقول النبوءة أيضا إنه عندما يأتي روح الحق، فهو يرشد الناس إلى جميع الحق، وأن الكتاب الذي أوحي إليه لن يحتوي كلمة من كلام البشر، وأنه سوف ينبّئ العالم بأمور آتية من أمور الغيب، وأنه سوف يمجّد المسيح ابن مريم ويبرئه من جميع الاتّهامات التي تُلصق به والعيوب التي تُنسَب إليه.

إن النبوءة تنطبق تماما على الرسول ﷺ. فهي تقول بكل وضوح إنه إن لم يرحل المسيح، فإن المعزّي لن يأتي. ومن سفر أعمال الرسل ٣: ٢١-٢٢ يتبيّن أيضا أن النبي الموعود في سفر التثنية ١٨:١٨* سوف يظهر في زمن بين رحيل المسيح ومجيئه الثاني. وعلى هذا فإن المعزّي ليس سوى النبي الموعود في سفر التثنية ١٨:١٨. إن النبوءة تقول إن النبي الموعود سوف يبكت من لا يؤمنون بالمسيح، فلا يمكن أن يكون النبي الموعود مسيحيا، فإنه من الطبيعي أن يدافع الأتباع عن معتقداتهم ويبكّتوا المنكرين الذين يؤمنون بنبيّهم. فلا بد أن تتعلق النبوءة بشخص آخر ينتمي إلى قوم آخر، بلا رابطة دينية أو رابطة قومية بالمسيح، ولكن لكونه نبيا صادقا مرسلا من لدن الله تعالى، فإنه يحترم رسالات جميع الأنبياء، ويؤيد الحق الذي جاءوا به، وينشر الاحترام والتبجيل الذي يستحقونه بين كل الناس. وقد كان نبي الإسلام ﷺ من بني إسماعيل، ولم يكن مسيحيا ولا يهوديا. ولكن يا له من مدافع عن شرف ومجد المسيح عليه السلام!. إذ يقول القرآن المجيد عن اليهود:

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ۝ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ۝ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ

* والنبوءة الورادة في المرجع المذكور هي: "أقيم لهم نبيا من وسط إخْوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه، فيكلّمهم بكل ما أوصيه به". (الناشر)

الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ۝ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾ (النساء: ١٥٧-١٦١)

إن التجاوزات التي ارتكبها اليهود كانت تتضمّن كفرهم بالمسيح عليه السلام، وتقوّلهم الظالم بالبهتان في حق مريم، وبافترائهم الكاذب بأنهم قتلوا المسيح رسول الله. وإن الحقيقة هي أنهم فشلوا في قتل المسيح سواء كان ذلك بالسيف أو عن طريق الصلب. لم يكن في أيديهم سوى الظن بأن المسيح قد مات على الصليب، ولكنه كان مجرّد ظن وليس إيمانا يقينيا. وقد ظلوا يختلفون بين أنفسهم و لم يتّفقوا على رأي واحد فيما يختص بما حدث للمسيح. ولما كانوا يفتقدون الحقيقة فقد راحوا يخمّنون ويتصوّرون ما كان من الممكن أن يحدث. ولكن ما كان يقينا في الأمر هو أنهم لم يقتلوه، فقد أنجاه الله تعالى من موت اللعنة على الصليب، ورفع مقامه ودرجته وقرّبه إليه، فإن الله عزيز، يفعل ما يشاء، كما أنه حكيم في عمله وكل أفعاله. أما كل فرد من أهل الكتاب فسوف يظل يؤكد على إيمانه بمقتل المسيح على الصليب، ولكن في يوم القيامة سوف يشهد المسيح بنفسه ضدّهم ويؤكد على كذب ادعائهم. وبسبب هذه التجاوزات التي ارتكبها اليهود، فقد نزع الله تعالى منهم تلك الأفضال والنعم التي كانت من نصيبهم، وكانت تبدو أنها من حقهم كما لو كانت إرثا ورثوه عن أجدادهم. ولا شك أن هذا الاقتباس القرآني يبيّن الحقائق كما هي.

والعلامة الثانية في نبوءة يوحنا (١٦: ٧-١٤) هي أن النبي الموعود سوف يصحح العقيدة الخاطئة عن قيامة المسيح من الأموات، ويثبت أنه لن يأتي مرة أخرى إلى هذه الدنيا. وقد أدّى رسول الإسلام ﷺ هذا الواجب على أكمل وجه، وكشف الغطاء عن حقيقة أن المسيح لم يمت أصلا على الصليب، وبالتالي فهو لم يقم من الأموات، و لم يصعد إلى السماء، وهو لا يعيش فيها إلى الآن. ويقول القرآن المجيد:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ

إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة:١١٧-١١٩)

إن السؤال والجواب المذكورين في هذا المقتبس القرآني سوف يحدثان في يوم القيامة. ومن الواضح أن هذا المقطع يقرر وفاة المسيح ابن مريم عليه السلام، كما ينفي حياته في السماء؛ غير أن أتباعه رفعوه إلى مقام الألوهية بعد وفاته وانتقاله من هذا العالم. إن صعوده إلى السماء لا يعني سوى أنه بعد أن أدّى مهمّته وبلّغ رسالته انتقل إلى جوار خالقه مكرّما ومعزّزا.

إن نبوءة يوحنا ١٦: ٧-١٤ تقول أيضا إن الشيطان والقوى الشيطانية سوف تنسحق بأيدي النبي الموعود. ومن بين جميع الأنبياء، يقف الرسول الأكرم ﷺ في موقف بارز متميّز من حيث اتّخاذ الوسائل اللازمة ضد القوى الشيطانية وتأثيراتها، وضبط نوازع النفس الأمّارة بالسوء، ومن أجل نشر الفضيلة والبر في حياة الإنسان. ولا نستطيع هنا أن ندخل في تفاصيل هذه الأمور، ولا أن نتحدّث بإسهاب عن تلك الموازين التي وضعها بالقسط، وسوف يجد القارئ هذه الأمور مذكورة في هذه المقدمة في مكانها المناسب حينما نقدم للقارئ نبذة عن حياة الرسول ﷺ. ولكن نكتفي هنا بذكر معيار واحد فقط يدل على صدق ما نذكره عنه، وهو الدعاء إلى الله تعالى طلبا للنجاة من تأثير الشيطان، وهو ذلك الدعاء الذي علمه الرسول ﷺ لأتباعه، والذي ينبغي تكراره في المناسبات المختلفة، وهو "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". وقد اعتاد المسلمون استخدام هذا الدعاء، ولا نعلم أي دعاء مماثل في تعاليم الأنبياء الآخرين. وقد فاق المسلمون الأمم الأخرى في يقظتهم وصراعهم اليومي مع وساوس الشيطان، وقد

تلقوا من نبيهم هذا التوجيه بشكل لم تتلقه أمّة أخرى. ولـذلك فهـم الـذين يستحقون أكثر من أية أمّة أخرى أن ينالوا الوعد المذكور في النبوءة. ولا شك أن نبيّهم قد حقق هذه النبوءة، فإن قتل الشيطان لا يعني قتله على الفور بحيث لا يبقى له أثر في الدنيا، فإن هذا لم يحدث قط، ولن يحدث أبـدا. إن التـأثيرات الشيطانية وإغراءاتها لا بد أن يستمر وجودها، فبدونها لا تكون هناك أية قيمـة للإيمان. وعلى ذلك فإن المقصود من قتل الشيطان هو تخفيف الآثـار الفاسـدة لقوى الشر، والتقليل من نفوذها على الإنسان، وحصرها في أقل قدر ممكـن، ونشر التأثيرات الطيبة، والعمل على زيادة دوافعها بأكبر قدر ممكن، فتـشيع في الدنيا مخافة الله تعالى، وينتشر العدل والبر. ولا تستطيع الكنيسة أن تدّعي لهـا نصيبا في هذا الجزء من النبوءة، لأن الكنيسة قد أعلنت أن الشريعة لعنة، وألقت بذلك بذور الشك في مفهوم الخير والشر. وقد بيّنّا فيما سبق توافق العبارة التي جاءت في نبوءة إنجيل يوحنا: "وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشـدكم إلى جميع الحق" مع النبوءة التي جاءت في سفر التثنية ١٨:١٨.

كذلك فقد جاء في النبوءة الوعد: "ويخبركم بأمور آتية". ويكفي القول بأن أحدا لم يخبر الدنيا بأمور آتية كما فعل رسول الإسلام ﷺ.

ثم تأتي العبارة التي تصف ذلك النبي الموعود فتقول: "لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلّم به". ولا شك أن هذا الوصف لا ينطبق إلا على رسول الإسلام ﷺ، فإن العهد الجديد والعهد القديم لا يحتوي أحدهما على سفر مـن الأسفار يخلو من كلام البشر الذي اختلط بكلام الله تعالى. أما القرآن المجيد فهو لا يحتوي إلا كلمة الله الطاهرة النقيّة من بدايته إلى نهايته. ولم تختلط به كلمـة واحدة من كلمات الرسول نفسه، ناهيك عن كلام غيره من البشر.

والعلامة الأخيرة في النبوءة هي عبارة: "ذاك يمجّدني"، وهي أيضا تنطبق على الرسول ﷺ. فهو الذي برّأ المسيح عليه السلام من تهمة أنه كان ملعونا والعياذ بـالله، بموته على الصليب؛ كما برّأه أيضا من تهمة ادّعاء الألوهية؛ أو أنه كان كـذّابا

مفتريا على الله كما يصمه بذلك اليهود؛ بالإضافة إلى التهم الأخرى التي ألصقوها به.

(ز) جاء في سفر أعمال الرسل (٣: ٢١-٢٤) ما يلي:

"الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة ردّ كل شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القدّيسين منذ الدهر. فإن موسى قال للآباء إن نبيا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم، له تسمعون في كل ما يكلّمكم به. ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تُباد من الشعب. وجميع الأنبياء أيضا من صموئيل فما بعده، جميع الذين تكلّموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام".

يشير هذا المقطع إلى النبوءة المذكورة في سفر التثنية ١٨:١٨ وتؤكد على أن النبي الموعود في سفر التثنية يجب أن يأتي قبل أن يتحقق المجيء الثاني للمسيح ﷺ، كما تؤكد نبوءة التثنية على أن النبي الموعود سوف يأتي بشريعة من عند الله تعالى. والإشارة إلى نبوءة التثنية في سفر أعمال الرسل تبيّن لنا بكل وضوح أن تعاليم المسيح سوف تنتهي فعاليتها وتحل محلها تعاليم ذلك النبي الموعود به. فإن الشريعة الجديدة لا تعني إلا هذا. وعلى هذا فإن النبي الموعود به في سفر التثنية (وفي هذا المقطع من سفر أعمال الرسل) سوف يكون هو بشير المرحلة الأخيرة من التقدم الروحي للإنسان. فإن شريعته هي التي تحل محل شريعة موسى التي اتبعها المسيح، وهو الذي سوف يمنح العالم تعاليم جديدة وشريعة جديدة.

إن المقطع السابق من سفر أعمال الرسل يقول:

"وجميع الأنبياء أيضا من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام". (٣: ٢٤).

لقد ذكرنا نبوءة موسى ﷺ، وقد جاء المسيح ﷺ بعد النبي صموئيل، وهذه الفقرة من سفر أعمال الرسل تعني أنه في الفترة بين موسى إلى المسيح، قد سبق وأنبأ كل نبيّ عن مجيء ذلك النبي، وهذا يعني أنه إلى أن يأتي ذلك النبي،

فلن تكتمل الأسس الروحية التي يمكن أن يقيم الإنسان بناءه عليها. ولما كان ذلك النبي، حسب العلامات التي ذكرها الكتاب المقدس، ليس سوى رسول الإسلام ﷺ، فينبغي أن نعترف بأن الرسول ﷺ هو النبي الموعود الذي تنبأ به جميع الأنبياء، وأن شريعته هي الشريعة التي تكلم عنها جميع الرسل. فمن ذا الذي يقول بعد هذا إنه لم يكن هناك من داع لوجود القرآن في وجود العهد الجديد والعهد القديم؟ إن جميع الأنبياء الأوائل قد ألمحوا إلى الحاجة إلى القرآن المجيد وتنبئوا عنه. وليس هناك من سبب أو من حجة يتذرّع بها أتباع أولئك الأنبياء كي لا يتّبعوا القرآن المجيد. وكل ما يمكن أن نقوله هو إنهم إذا أنكروا الحاجة إلى القرآن المجيد، فإنهم يلقون بستائر الشك على صدق أنبيائهم، ومدى صدق نبوءاتهم التي تحدثوا بها. ألم يقل موسى عليه السلام:

"فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه." (التثنية ١٨: ٢٢)